سلسلة تصحيح صورة الإسلام



صورة الإسلام في الغرب

بين حملات التشويه وواجب التصحيح



أشغال اليوم الدراسي الذي نظمته مجموعة

البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام بكلية الشريعة بفاس

يوم 9 ماي 2006

سلسلة تصحيح صورة الإسلام



صورة الإسلام في الغرب

بين حملات التشويه وواجب التصحيح

أشغال اليوم الدراسي الذي نظمته مجموعة

البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام بكلية الشريعة بفاس

يوم 9 ماي 2006

صورة الإسلام في الغرب
بين التشويه وواجب التصحيح

- المؤلف: مجموعة من الباحثين
- رقم الإيداع القانوني:2007/1206

- طبع وتصميم: مطبعة أنفو - برانت، 12، شارع القادسية - الليدو - فاس.

الهاتف: 035.64.17.26 / 061.20.16.41

- البريد الإلكتروني: infoprintfès@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فلا شك أن الحديث عن واقع صورة الإسلام في الغرب والبحث عن سبل تصحيحها وتغييرها إلى الأفضل والأحسن لم يسبق أن عرف من الاهتمام والبحث والمدارسة ما يعرفه الآن خاصة بعد أحداث **11** شتنبر **2001**. حيث إن المتتبع لتداعيات تلك الأحداث لا يملك إلا أن يستغرب لفظاعة الصورة التي يكونها الإعلام الغربي بكل مكوناته عن الإسلام والمسلمين حيث وجد في الصورة المصطنعة عن الإسلام مادة خصبة لنسج صور نمطية موغلة في الازدراء والاستخفاف بتعاليم الإسلام ومبادئه من جهة وعادات وتقاليد المسلمين من جهة أخرى.

لقد أضحى الحديث عن الإسلام يشكل وجبة دسمة في مختلف وسائل الإعلام الغربي التي برعت في إلصاق تهمة العنف والإرهاب به وبأتباعه مما فاقم من حدة الاهتمام والمتابعة لكل ما يرتبط بالعالم الإسلامي الذي أمسى منبع الخوف والريبة بالنسبة للغربيين ، ولا شك أن الإعلام الغربي بما يمتلكه من إمكانات جبارة وقوة الجذب والتأثير قد استطاع أن يجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي الذي أصبح في الآونة الأخيرة ينظر إلى المسلم في الديار الغربية نظرة حذر وارتياب.

إن مما لا شك فيه أن الإسلام كدين بما تضمنته مبادئه من قيم إنسانية وحضارية يشكل أحد أبرز هواجس الغرب في الآونة الأخيرة، فظهوره على الساحة السياسية والفكرية والاجتماعية داخل المعاقل والأوساط الغربية ذاتها جعل منه العدو الأكبر للغرب، نظرا لما يمثله من قوة وجاذبية وتأثير جعلته يكتسح عدة مناطق من ربوع العالم. وقد كان لا بد لهذا الغرب من استراتيجية قوية تحاول دفع الإسلام والحد من انتشاره وانجذاب الغربيين إليه. ولعل من أبرز الوسائل المتبعة في هذا المضمار العمل على تشويه صورته وتمييع حقائقه.

وإذا كان تشويه صورة الإسلام يؤثر سلبا على ثقافتنا وحضارتنا، فإن السعي الحثيث نحو تحسين الصورة وتصحيحها يعد واجبا دينيا وضرورة ثقافية، فضلا عن كونه مطلبا واقعيا تمليه مسؤولية تبليغ حقائق الإسلام إلى من يجهلها أو يعاند في معرفتها والاقتناع بها. فنحن أمة رسالة

وشريعة، ولا ينبغـــي أن نيـــأس من تبليغهـــا للآخريـــن وتبيـــن حقيقتها للمنكرين والمتحاملين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

أمام هذا الواقع تبرز الحاجة الماسة إلى القيام بواجب التحذير من خطورة تفاقم واقع صورة الإسلام المشوهة في وسائل الإعلام الغربية والعمل من أجل تغييرها إلى الأحسن مع تطوير أساليب وآليات عملية التصحيح بحيث تصل الحقائق الصحيحة عن الإسلام وحضارته إلى الإنسان الغربي وتبصره بقضايا المسلمين وأحوالهم.

وسيجد القارئ في هذا الكتاب الأبحاث المقدمة في اليوم الدراسي الذي نظمته مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام التابعة لكلية الشريعة بفاس يوم 9ماي 2006 وهي عروض انصبت في معظمها على تشخيص صورة الإسلام في الغرب من خلال رصد مختلف المناهج والأساليب المتبعة في عملية التشويه والمغالطة من جهة، والبحث عن السبل والآليات الكفيلة بتصحيح الصورة ومعالجتها من جهة أخرى.

ولا يفوتنا بالمناسبة تقديم الشكر الجزيل للسادة الأساتذة المشاركين في هذا اليوم الدراسي على اقتناعهم بأهمية وضرورة طبع العروض تعميما للفائدة وتحقيقا لأهداف المجموعة.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. حسن عزوزي

رئيس مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام

فاس في: 21ربيع الثاني 1428هـ

9 مـــاي 2007 م

تشويه صورة الإسلام في الغرب
من خلال الإساءة إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

للدكتور: سعيد المغناوي

أستاذ بكلية الاداب والعلوم الإنسانية

-فاس – سايس

أود في هذه المداخلة المتواضعة أن أقدم لكم في بدايتها، جردا تاريخيا للإساءات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية منذ سنة 2000م. ثم أسرد لكم بعد ذلك أنواعا وأشكالا متعددة من هذه الإساءات. وأبين لكم بعدها، أن الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هي السائدة حاليا في الأوساط الغربية.

لكن لماذا الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت بالذات؟

هذا ما سأحاول توضيحه – بإذن الله – من خلال الحديث عن بعض ما جاء في كتاب (نبي الشؤم) الذي أساء فيه صاحبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكل لم يسبق له مثيل.

أود أن أنبه كذلك، إلى ثلاثة أمور مهمة، قبل الشروع في عرض هذه المداخلة، وهي:

1) أن الجرد التاريخي لكافة الإساءات التي تعرض لها الإسلام والمسلمون والرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا تحديد أنواعها وأشكالها، من شأنه أن يساعدنا في عملية الرد عليها وتصحيحها. ومن شأنه كذلك أن يساعدنا في معرفة ما تكرر منها في القرون السابقة، وبماذا رد عليها أو دحضها علماء الأمة في تلك الآونة.

2) أن الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الإساءة إلى الإسلام والمسلمين بصفة عامة، لا يمكن تفسيرها بمعزل عن الأحداث السياسية التي يعرفها العالم اليوم، ومن ثم لابد من النظر بتمعن لأهداف العدو واستراتيجيته الراهنة.

3) أنه يجب التفكير بجدية في استراتيجية مهمة للرد على كافة الإساءات الموجهة للإسلام والمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم، من أجل تصحيح صورهم في أذهان الغربيين، على أن تكون هذه الاستراتيجية مبنية على أسس علمية لا عاطفية.

***

نص المداخلة

منذ أحداث الحادي عشر من شتنبر 2001 والإسلام والمسلمون يتعرضون لهجوم غربي، إعلامي وفكري، لم يسبق له مثيل، من حيث كثافته واتساع انتشاره، بفعل توظيفه لكافة الوسائل السمعية والبصرية، وكافة التقنيات الحديثة والمتطورة.

وقد تبيّن لبعض الباحثين، أن الهدف من ذلك، هو تشويه صورة الإسلام في الغرب، ثم زرع الخوف والكراهية تجاه المسلمين، من أجل الحد من انتشار الإسلام في المجتمع الغربي، ومنع المسلمين من التفوق عليهم في جميع الميادين.

ومن بين الإساءات التي تعرض لها الإسلام والمسلمون في مستهل القرن الواحد والعشرين، حسب ما جاء في موقع (الجزيرة. نت) وغيره، نذكر ما يلي:

-في شهر من سنة 2000: صحيفة كندية تنشر مقالة، تزعم فيها أن الإسلام يحرض على قتل اليهود.

-وفي شهر شتنبر من سنة 2001: رئيس وزراء دولة أوربية يتحدث عن سمو الحضارة الغربية مقارنة بالحضارة الإسلامية.

-وفي شهر شتنبر أيضا من سنة 2001: صدر كتاب (الغضب والكبرياء) لمؤلفته أوريانا فالاتشي، هاجمت فيه الإسلام، وأيدت مزاعم تفوق الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية.

-وفي شهر مارس من سنة 2002: محرِّر في مجلة ناشيونال ريفيو الأمريكية يهدد بضرب مكة المكرمة بالسلاح النووي.

-وفي شهر دجنبر من سنة 2002: ضابط إسرائيلي برتبة عقيد يعمل مدرسا في الكليات العسكرية، يهدد بضرب مكة والمدينة بالسلاح النووي.

-وفي شهر نونبر من سنة 2003: فرنسا تصعد حملتها لمنع الحجاب الإسلامي في المدارس وأماكن العمل.

-وفي نفس السنة: صدر كتاب (الرجل المناسب .. الرئاسة المفاجئة لجورج دبليو بوش) لمؤلفه ديفد فروم – وهو كاتب خطابات سابق في إدارة الرئاسة الأمريكية – قال فيه: إن قيادات اليمين الأمريكي المتدين، الذين يمثلون أقوى القواعد الجماهيرية المساندة لبوش، شعروا بغضب شديد، لأنه وصف الإسلام بأنه (دين سلام).

-وفي نفس السنة: صدر كتاب (ما حدث خطأ؟ الصراع بين الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط) لمؤلفه برنارد لويس، روّج فيه لفكرة تقول: إن نظرة المسلمين للغرب والولايات المتحدة في الفترة الراهنة، يحكمها شعورهم بالمهانة الدولية بعد سقوط حضارتهم، وحقدهم على الغرب المسيحي المتقدم.

-وفي نفس السنة: صدر كتاب (الإسلام المسلح يصل أمريكا) لمؤلفه دانيال بايبس، وكتاب (جهاد أمريكي .. الإرهابيون الذين يعيشون وسطنا) لمؤلفه ستيفن إمرسون، روجا فيهما لنظرية تقول: إن المسلمين والعرب المقيمين في أمريكا والغرب هم أعداء مقيمون في الولايات المتحدة، يتحيّنون الفرص للانقضاض عليها، ومن ثم يجب السعي لمراقبتهم والتضييق عليهم وتهميش منظماتهم.

-وفي نفس السنة: أصدرت مؤسسة رائد الأمريكية للأبحاث، دراسة بعنوان (الإسلام المدني الديمقراطي)، دعت فيها صراحة إلى تبنّي سياسات أمريكية من شأنها، مساندة الجماعات المسلمة العلمانية والتقدمية، ماليا وسياسيا وإعلامياً.

-وفي شهر يناير من سنة **2004**: عضة حزب بريطاني ينعت الإسلام بأنه (عقيدة فاسدة)، ويخلو – حسب زعمه – من أي مساحة للتسوية الضرورية في مجتمع حرّ، ولا يتفق والديمقراطية.

-وفي شهر نونبر من سنة **2004**: فيلم لمخرج هولندي، يتهم الإسلام بأنه يضطهد المرأة.

-وفي شهر دجنبر من سنة **2004**: طالب الأمين العام للأمم المتحدة بضرورة وضع حد لظاهرة الانتقادات والإساءات الموجهة للمسلمين ورموزهم الدينية، وذكر أنها أخذت في الانتشار بحدة.

-وفي نفس السنة: صدر كتاب (قوة العقل) لمؤلفته أوريانا فالاتشي، أوردت فيه إهانات كثيرة للإسلام والمسلمين، من مثل قولها: (أوربا أصبحت أكثر فأكثر مستعمرة للإسلام)، وقولها: (عقيدة الإسلام تبث الكراهية بدلا من المحبة، والعبودية بدلا من الحرية)، وقولها: (إن كل العرب والمسلمين هم في أفضل أحوالهم إذاً متطرفون! وفي أسوئها مجموعة كبيرة من أمثال أسامة بن لادن، فيجب إعلان الحرب عليهم، وعدم الانجرار إلى التمييز بين واحدهم والآخر، كلهم متطرفون ومتخلّفون وأمّيون ! ! ...)

-وفي شهر ماي من سنة 2005: مذيع بمحطة إذاعية أمريكية، يصف الإسلام بمنظمة إرهابية، وأنه في حالة حرب مع الولايات المتحدة، ويجدر بهذه الأخيرة ضرب مكة المكرمة بالسلاح النووي.

-وفي شهر يوليوز من سنة 2005: ممثل كوميدي أمريكي، يسخر من الإسلام في إحدى البرامج، ويصفه بأنه منظمة تشجع على القتل والكراهية والإرهاب.

-وفي شهر شتنبر من سنة 2005: صحيفة دانمركية تنشر رسوما كاريكاتيرية تسخر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-وفي شهر دجنبر من سنة 2005: مذيع بمحطة إذاعية أمريكية، يصف الإسلام بأنه يشجع على القتل.

-وفي نفس السنة: نائب جمهوري أمريكي، يهدد بضرب مكة المكرمة بالسلاح النووي.

-وفي شهر يناير 2006: صحيفة نرويجية تعيد نشر رسوم كاريكاتيرية تصوّر الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر غير لائق، بدعوى حرية التعبير.

-وفي شهر يناير أيضا من نفس السنة: مذيع من شبكة تلفزيونية أمريكية، يستهزئ بالمسلمين في حادث منى، ويصفهم بقطعان الماشية.

-وفي شهر فبراير من سنة 2006: مجلات فرنسية ونرويجية وأوربية تعيد نشر الرسوم المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، التي نشرتها الصحيفة الدانمركية في شهر شتنبر من سنة 2005. وبعض الساسة الغربيين يعلنون تأييدهم لهذا الفعل الشنيع.

-وفي شهر فبراير أيضا من نفس السنة: مجلات إسكندنافية وأوربية تعلن عن مسابقة جديدة لرسم النبي صلى الله عليه وسلم.

-وفي شهر فبراير كذلك من نفس السنة: بثت قناة نرويجية برنامجا ساخرا، يشبّه الرسول صلى الله عليه وسلم بالخنزير.

ومن خلال هذه الإساءات وغيرها، يتبيّن لنا بوضوح أن الصور النمطية التي يتم عرضها حاليا في الغرب عن الإسلام والمسلمين، لا تخرج في الغالب عن النقاط التالية:

- الإسلام دين الإرهاب والعنف والحرب والتشدد والكراهية والتعصب.
- الإسلام دين بدائي وشيطاني.
- الإسلام يضطهد المرأة ويظلمها في الميراث.

- الإسلام انتشر بالسيف، وسيف الإسلام يعود من جديد.
- الإسلام ضد السامية أي اليهود، وضد حرية الاعتقاد.
- الإسلام ضد العمل، وهو دين تواكلي.
- الإسلام دين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات.
- الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان والحيوان.
- الإسلام يحرّم الفنون، مثل الموسيقى والنحت والرسم.
- الإسلام يعادي الحضارات الأخرى.
- الإسلام دين رجعي.
- الإسلام يتعارض مع الحضارة، والبديل عن الشيوعية وإيديولوجياها بعد سقوط الاتحاد السوفياتي.
- الإسلام يحض على العنف والانتقام.
- الإسلام عدو بدائي لا يستحق إلا الإخضاع.
- المسلمون أناس متخلفون بربريون.
- المسلمون يتزوجون بأربع نسوة.
- المسلمون يعبدون محمدا مخترع الإسلام.
- المسلمون لا يؤمنون بعيسى عليه السلام.
- الصيام يقلل حركة الإنتاج.
- الزكاة تقلل من الأموال.
- الثقافة الإسلامية مختلفة جملة وتفصيلا عن الثقافات الأخرى.
- الأبناء ينسبون إلى أبيهم دون أمهم
- الحجاب عملية إرهابية.
- المسلمون يشكلون **20** في المائة من سكان العالم، وهم وحدهم مسئولون عن **80** في المائة من الصراعات والاضطرابات في عالم اليوم.
- الفتوحات الإسلامية توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادي للحصول على الغنائم وفرض الجزية.

وأحيانا يتم استعمال وترويج مفردات وعبارات تثير الفزع لدى القارئ الغربي، من مثل:

- الحجاب المؤامرة .. كيف يتسلل الإسلاميون؟
- الحرب المقدسة.
- المسلمون قادمون.
- الحروب الصليبية مستمرة.
- العالم يتحكم فيه بدو الصحراء وشيوخ البترول.
- الإسلاموفوبيا.
- الإرهاب الإسلامي.
- التهديد العربي والخطر الإسلامي.
- الإرهابيون لا يحرفون الإسلام، إنهم يطبقون ما في الإسلام.
- الغرب أمام حملة صليبية عكسية.
- الغرب يعيش حربا صليبية بالفعل.
- حرب لا تريد أن تغزو أراضينا بل أرواحنا.
- حرب تريد القضاء على خيراتنا وعلى حضارتنا.

أما أكبر إهانة تعرض لها المسلمون من طرف الغرب، وفي السنوات الأخيرة بالتحديد، هي الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد لجأ بعض الغربيين إلى تشويه صورة الإسلام في بلادهم من خلال الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجلى ذلك بوضوح فيما نشرته – مثلا – الصحيفة الدانمركية من رسوم مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيما كتبه جُريج وين في كتابه المسمى بـ (نبي الشؤم) أو (نبي التشاؤم) أو (نبي الموت) أو (نبي الخراب).

ويعتبر هذا الكتاب الأخير من أخطر ما كُتب في الولايات المتحدة الأمريكية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم، لما فيه من مس فظيع بجنابه الشريف صلى الله عليه وسلم.

عنوانه الكامل : (نبي الشؤم – مذهب الإسلام الإرهابي في كلمات محمد الخاصة)

Prophet of doom – islam's terrorist dogma in muhammad's own words

ومؤلفه رجل أعمال وميلياردير أمريكي، جمع ثروته من خلال تسويق وبيع المنتجات عن طريق الإنترنت.

وله موقع على هذه الشبكة العنكبوتية معاد للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم، يعج بكتابات ومراسلات ومعلومات، تشير إلى أن المسألة ليست نتاج عمل فردي، بل هي عمل منظم مدعوم من جهات ذات قدرة مادية وتنظيمية واحترافية. وهذه الجهات لا تعدو أن تكون منظمات صهيونية ومسيحية متطرفة، ولا يعدو أن يكون ما تم نشره في الدانمرك من صور مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، جزءا لا يتجزأ منه وامتدادا له.[1]

وقد صدر كتابه هذا في **25** أبريل من سنة **2004**م عن دار (كريكيت سونج بوكس) **Cricket Song Books**

وتقوم دار النشر والتوزيع الأمريكية (أمازون) بترويجه ونشره وتوزيعه. ولا زال يُعرض على موقعها على شبكة الإنترنت حتى الآن، على الرغم من احتجاج عدد كبير من المسلمين على ذلك.

فقد شنّ ما يزيد على **142** ألف مسلم من نشطاء الإنترنت حملة ضدها. وأرسل هؤلاء النشطاء آلاف الرسائل الاحتجاجية إليها على شبكة الإنترنت، معترضين فيها على الإهانات الموجهة للرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين، ومطالبين باعتذارها، وبوقف بيع الكتاب.

وأَنْشَأت (اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم) بتاريخ **2005/1/1** موقعا على الإنترنت للتصويت ضد بيع ونشر وتوزيع الكتاب، تضمّن رسالة إلى أصحاب (دار أمازون) وغيرها من دور النشر ومكتبات بيع وتوزيع الكتب، تقول: « نحن – الموقّعون أدناه – نعلن أننا صُدمنا تماما، وأفزعنا هذا الكتاب للسيد جُريج وين؛ الذي يتضمن معلومات خاطئة وخبيثة بخصوص نبينا المحبوب محمد، النبي الذي يؤمن به **20** في المائة من سكان العالم، ويؤمن المسلمون أنه النبي الخاتم المرسل رحمة إلى كل العالمين »

ودعا مسلمون آخرون إلى الرد عليهن لكن ليس بأسلوب الشجب والاستنكار، ولا بالأسلوب القذر الذي يستخدمه أعداء الإسلام، بل بأسلوب حضاري، ومنهج علمي رصين، ومن طرف علماء قادرين على دحض شبهاته وافتراءاته. ومن ثم رأوا بأنه لابد من إصدار كتاب ضده، مثلا تحت عنوان (نبي الرحمة لا نبي الموت)، أو ما شاكلها من العناوين التي من شأنها أن تدفع الناس إلى اقتنائه والاطلاع على ما جاء فيه.[2]

1- التطرف والإرهاب من أجنحة الصهيونية، لحمد بن عبد الله اللحيدان (مقالة نشرت بجريدة الرياض السعودية، الجمعة 2006/3/3، العدد 13766)

2- التطرف والإرهاب من أجنحة الصهيونية، لحمد بن عبد الله اللحيدان (مقالة نشرت بجريدة الرياض السعودية، الجمعة 2006/3/3، العدد 13766)

وإذا كان الأفراد لا يستطيعون القيام بهذه المهمة، فإن من الواجب على المنظمات الإسلامية القيام بذلك، مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي.[1] بل من الواجب حتى على فرق البحث القيام بذلك.

وممن رد على هذا الكتاب حتى الآن – حسب علمي – السيد بسام زوادي، في بحث له بعنوان (خيبة أمل جُريج وين)، عرض فيه لمجموعة كبيرة من أكاذيبه المتعمدة، ورد عليها. ومن أراد منكم الاطلاع على ما جاء في هذا البحث، فيمكنه الرجوع – مثلا – إلى موقع: **Answering – Christianity.com**

وفي هذا الموقع تجدون كذلك كتاب جُريج وين، إضافة إلى ردود مفصلة على جميع ما جاء في فصوله باللغة الأنجليزية، مع المقارنة بما جاء عند اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة.

وتجدر الإشارة كذلك، إلى أن السيد جلال أبو الروب قد دعا جُريج وين إلى المناظرة، وانتصر عليه فيها، وكان ذلك يوم **14** نونبر من سنة **2005**م، على الهواء مباشرة، وعبر إذاعة **Mike Gallagher** . ثم ألف كتابا بعنوان (نبي الرحمة ضد نبي الموت).

بعض ما جاء في كتاب (نبي الشؤم)

افتتح جُريج وين كتابه برسالة وجهها للقارئ ذكر فيها أن الإسلام – في نظره – ما هو إلا خليط ساخر من الوثنية المنكفئة ومن قصص الإنجيل المحرفة، وأن نبيه الوحيد وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) قد وضع دينه فقط لإشباع رغبته في السلطة والجنس والمال، وأنه كان إرهابيا.

ولقد كان الهدف من هذا الكتاب – كما يقول: هو إشعار الناس بالأسباب الأصلية للإرهاب، والمخاطر التي ينضوي عليها الإسلام.[2]

واعترف بأنه لم يكن يعرف إلا القليل عن الإسلام قبل هجمات **11** شتنبر من عام **2001**م، إلا أن الأحداث المأساوية التي شهدتها أمريكا في ذلك اليوم، قادته للبحث والتحقق من نية المسلمين المبيّتة لقتل الكافرين والأمريكيين على وجه الخصوص، على حد زعمه.[3]

---

1 – نفسه

2 – في كتاب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بـ "نبي الموت"، لخالد الأنشاصي (مقالة نشرت في صحيفة الوطن السعودية، الجمعة 2005/1/14، العدد 1568، السنة الخامسة)

3 – نفسه

وقال بأنه قام بإجراء مقابلات مع أعضاء في تنظيم القاعدة والجهاد الإسلامي وكتائب شهداء الأقصى ومنظمة حماس، وسألهم لماذا يريدون قتل غير المسلمين وإبادتهم؟ فأجابوه بأنهم يتبعون ما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم). وقال بأن ذلك قد قاده إلى معرفة حقيقة الإسلام الأصولي وعلاقته بالإرهاب، وإلى اكتشاف الأسباب الرئيسية والمصدر الحقيقي للرعب الإسلامي.[1]

والكتاب في عمومه يتضمن معلومات خاطئة وخبيثة بخصوص نبينا صلى الله عليه وسلم، ويتضمن هجوما كبيرا عليه، حيث:

- وصفه بالإرهابي.[2]

- ووصفه بقاطع طريق، استعمل حسب زعمه البطش الاعتداءات والخداع للوصول إلى السلطة المطلقة.[3]

- ووصفه بأوصاف أخرى لا تليق به.[4]

- واتهمه بتشجيع الإرهاب ونشر ثقافة القتل ضد غير المسلمين.[5]

- وزعم أن البادئ التي قامت عليها رسالتهن ما هي إلا أطروحة مضادة للمسيح وأتباعه.[6]

- وزعم أنه اهتم فقط بما يسميه الكاتب (تعليم الناس الأسباب الرئيسية للإرهاب)، حسب تعبيره.[7]

- وزعم أنه كان من بين أكثر الأشرار والمخادعين في الدنيا، وأنه غرّر بملايين المسلمين، واستغل فقرهم الفكري والديني والاقتصادي والاجتماعي.[8]

- وادعى أنه كان يحرض على القتل ضد غير المسلمين[1]، وأن هذا التحريض الذي جاء به هو الذي يجعل الإرهابيين من القاعدة وحماس وكتائب شهداء الأقصى والجهاد الإسلامي يسعون لقتلهم.[2]

---

1 - في كتاب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بـــ "نبي الموت"، لخالد الأنشاصي (مقالة نشرت في صحيفة الوطن السعودية، الجمعة 2005/1/14، العدد 1568، السنة الخامسة)

2 - موقع: Afreewriter.blgspot.com

3 - موقع: Ar.wikipedia.org

4 - موقع: Afreewriter.blgspot.com

5 - نفسه

6 - Answering- christianity.com

7 - صحيفة أخبار الشرق الإلكترونية، الثلاثاء 2005/1/25

8 - نفسه

-وادعى أن كل ميراثه هو (حرب الجهاد المقدسة ضد غير المسلمين)، لأن القرآن يأمر المؤمنين بإبادة الكفار، ويدعوهم لمحاربة وقتل الرافضين للإسلام وأخذهم أسرى، وسحق وقتل كل البشرية من غير المسلمين، وأسر النساء والأطفال، وقتل اليهود.[3]

إضافة إلى ذلك كلهن فهو:

-ينشر أكاذيب يقدمها على أنها (مذهب الإسلام الإرهابي).[4]

-ويقدم الإسلام من خلال مقاطع من الآيات والأحاديث المبتورة.[5]

-ويأخذ استشهادات انتقائية من القرآن ومن كتب إسلامية أخرى، لتأسيس قضيته في أن الإسلام هو أكبر منظمة للعنف في العالم[6]– حسب ادعائه أو هو المصدر الأول للإرهاب في العالم.[7]

-ويعزز ادعاءاته ومزاعمه باستشهادات فيها الكثير من البعد عن الموضوعية.[8]

***

ويبدو لي – والله أعلم – أن هذا الكتاب لا يمثل في الحقيقة إلا فصلا من فصول ما يسمى بالحرب على الإرهاب، أقصد الحرب على الإسلام. والذين يقودون هذه الحرب – كما هو معلوم – يلجأون اليوم إلى نسف المباني على أهلها والمعتقدات على أصحابها، من أجل القضاء على الحضارة والثقافة الإسلامية العتيدة. أضف إلى ذلك، أن جميع الرموز الصامدة في بلداننا الإسلامية، سواء كانت حية أو ميتة، ينبغي بالنسبة إليهم تدميرها. ولهذا يجب أن لا نندهش وأن لا نستغرب من إساءاتهم المتكررة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآونة. ويجب كذلك أن نعذرهم، لأنهم يريدون أن ينتصروا في هذه الحرب بأي ثمن وبأية كلفة وبأية وسيلة وبأية طريقة. لكن لحد الآن، لم يستطيعوا بحمد الله أن يحققوا شيئا من أهدافهم الخبيثة والاستعمارية؛ لأنهم يحاربون الله

---

1 - موقع: Afreewriter.blgspot.com

2 - صحيفة أخبار الشرق الإلكترونية، الثلاثاء 2005/1/25

3 - نفسه

4 - موقع: Afreewriter.blgspot.com

5 - التطرف والإرهاب من أجنحة الصهيونية، لحمد بن عبد الله اللحيدان (مقالة نشرت بجريدة الرياض السعودية، الجمعة 2006/3/3، العدد 13766)

6 - في كتاب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بـــ "نبي الموت"، لخالد الأنشاصي (مقالة نشرت في صحيفة الوطن السعودية، الجمعة 2005/1/14، العدد 1568، السنة الخامسة)

7 - استهداف النبي في كتاب، لخولة النوباني (مقالة نشرت في جريدة الغد الأردنية، الجمعة 2005/1/28)

8 - نفسه

ورسوله والمتمسكين بدينه، ومن ثم فنهايتهم قريبة بإذن الله. نسأل الله تعالى أن يعجّل بذلك، حتى يستريح العالم من شرورهم وفسادهم.

المراجع

- التطرف والإرهاب من أجنحة الصهيونية، لحمد بن عبد الله اللحيدان (مقالة نشرت بجريدة الرياض السعودية، الجمعة **2006/3/3**، العدد **13766**)
- في كتاب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بـــ "نبي الموت"، لخالد الأنشاصي (مقالة نشرت في صحيفة الوطن السعودية، الجمعة **2005/1/14**، العدد **1568**، السنة الخامسة)
- استهداف النبي في كتاب، لخولة النوباني (مقالة نشرت في جريدة الغد الأردنية، الجمعة **2005/1/28**)
- صحيفة أخبار الشرق الإلكترونية، الثلاثاء **2005/1/25**
- موقع: Afreewriter.blgspot.com
- موقع: Ar.wikipedia.org
- موقع: Answering- christianity.com

أثر الاستشراق في تشكيل الصورة النمطية للإسلام عند الغرب

للدكتور: عبد الرزاق وورقية
أستاذ بالكلية متعددة التخصصات - بتازة -

تقديم :

إن الصورة النمطية للإسلام التي لدى الغرب ليست وليدة اللحظة الراهنة، وإنما هي نتيجة تراكم قرون من التشكيل، بل أكثر من ذلك يرجع بعض المفكرين المعاصرين العلاقة بين الإسلام والغرب إلى تلك العلاقة القديمة بين الشرق والغرب والتي كانت سائدة قبل الإسلام بقرون طويلة، فالشرق دائما كان يشكل عند الغرب الغير الذي ينبغي صده، يقول تييري هنتش: "لقد شكل الثنائي شرق–غرب القائم على التضاد والتجاور المزمنين ثابتة في التاريخ المتوسطي. إنها إشكالية نابعة من ماهيتين أساسيتين متبادلتي التأثير والاختلاط، في السلم كما في الحرب دون أن تمتزجا بصورة مستدامة"[1].

والشرق المقصود هنا هو الشرق الثقافي، وليس الجغرافي لذلك نجد بلدان الغرب الإسلامي شرقية بالرغم من وقوعها في الغرب، ونجد بعض بلدان أوروبا الشرقية غربية بالرغم من وقوعها في الشرق.

وإذا كان من المعلوم عند علماء الحضارة أن الخطوة الأولى لتقارب حضارتين هو التعارف بينهما، أي معرفة إحداهما للأخرى بصورة صحيحة، فإن فرص التعارف بين الشرق والغرب غالبا ما كانت تصطدم بمعوقات تشوش على المعرفة الصحيحة، ولعل هذا ما نلمسه في المحاولة الاستشراقية بوصفها الخطوة الأكثر بروزا – في العلاقة بين الحضارتين – من جانب الغرب للتعرف على الشرق، إلا أن بداياتها لم تكن في الاتجاه الصحيح لكثرة ما شابها من الروح العدائية الدينية التي كانت حاكمة على شعوب أوروبا.

ومن هنا و إن كان الاستشراق مثل محاولة علمية للتعرف على الشرق إلا أنه علق بدراسات تلك التأثيرات الدينية الرافضة للآخر، فبدل أن يقدم الصورة الصحيحة عن الإسلام لشعوب الغرب ساهم بشكل أو بآخر في صياغة صورة مشوهة عن الإسلام، متخيلة ليست حقيقية، وبناء عليها طفق يحشد جميع الشواهد لتبريرها وتسويغها للناس على أنها حقيقة الإسلام مستغلا في ذلك الأحداث التاريخية المرافقة.

و في هذا المقال سوف نحاول الإجابة عن هذا الإشكال، كاشفين عن علاقة الاستشراق بالبيئة الثقافية المسيحية، وعن علاقته بسلطة الاستعمار، وكذا تراوحه بين المعرفة العلمية والموضوعية وقصد التشويه والانحياز.

---

1 – الشرق المتخيل : رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي، تييري هنتش ، ترجمة د. غازي برو و د. خليل أحمد خليل ، ط.1 ، 2004 ، دار الفارابي بيروت لبنان ، ص : 23.

1. نشأة الاستشراق و البيئة الثقافية المسيحية.

إن قيادة المسيحية للغرب ابتداء من الامبراطورية الرومانية و مرورا بدخول القوط و الفرنج في الكاثوليكية[1] و حمل شارلمان اللقب الإمبراطوري بدعم من البابا[2] في مرحلة العصر الوسيط، كل ذلك جعل الكنيسة تمارس نوعا من التحجير الفكري بسببه حجبت شعوب أوروبا عن معرفة الإسلام في صورته الصحيحة، فمن هذا المنطلق لابد من التمييز بين موقفين في أوروبا العصر الوسيط: أحدهما الموقف الرسمي الكنسي، والثاني الموقف الشعبي غير المتناغم كليا مع الكنيسة. حيث يتميز الأول بروح الكراهية والعداء والجحود للحقائق التي جاء بها الإسلام، و يتميز الثاني بحب الاطلاع على الإسلام دون وساطة الكنيسة. ويدل على هذا التمايز بين الموقفين أمران:

الأمر الأول: الموقف الذي رفض فيه قساوسة الروم دعوة النبي صلى الله عليه و سلم لهم إلى الإسلام وكما هو معروف في كتب الصحاح[3] أن النبي صلى الله عليه و سلم دعا عظيم الروم وحمله مسؤولية إثم أهل مملكته في حالة رفضه دعوة الإسلام، إلا أن هرقل قوبل نفسه بمعارضة الرهبان على موافقته على الإيمان بالإسلام.

وهذا الحدث التاريخي يؤكد أن الرفض للتعرف على الإسلام لم يكن من شعوب الروم التي لم يعرض عليها الإسلام أصلا، وإنما كان من المؤسسة الدينية الرسمية التي حجبت رسالة الرسول صلى الله عليه و سلم عنهم.

الأمر الثاني : دخول كثير من الإسبان إلى الإسلام في مرحلة الدولة الأندلسية و تعلمهم اللغة العربية، و تشبعهم بالثقافة الإسلامية، بل و تأثر كثير من أوروبيي المرحلة بالحضارة الإسلامية مع رفض الكنيسة لذلك، وقد بلغنا من النصوص ما يشهد لتحسر القساوسة المسيحيين لعدم اهتمام المسيحيين بلغتهم وانصراف شبابهم إلى تعلم لغة العرب وآدابها التي حذقوها و أتقنوها حيث قال أحدهم:" يا للحسرة ! ... إن كل الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب

---

1 - الشرق المتخيل:45

2 - الشرق المتخيل : 47

3 - انظر صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي ، رقم الحديث 6. حيث جاء فيه " إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ "، فقال هرقل لمستشاريه من رجال الدين " يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ "

و آدابها، و يؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم ...لقد أنسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد واحدا منهم بين الألف يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما من الخطأ..."[1]

أضف إلى ذلك أن بعض أدباء المرحلة كتبوا أعمالا أدبية بالعربية ولكنهم لم يستطيعوا نشرها، ثم لجأوا إلى ترجمتها إلى الإسبانية واستعارة من يتبناها كي يكتب لها الانتشار، و تعتبر رواية الكيخوطي دي لامانشا للأديب الإسباني سيرفانتيس خير مثال على ذلك، والتي كانت في أصلها مكتوبة بالعربية و تعود إلى كاتب عربي[2].

وتضافرت عوامل عدة في تقوية هذا العداء المستحكم من الكنيسة في العصر الوسيط تجاه الإسلام، ويعزو كثير من الباحثين تلك العوامل إلى أمور منها:

- تخوف رجال الدين المسيحيين من فقدان امتيازاتهم وسلطتهم على شعوب أوروبا مع استمرار الفتوحات الإسلامية.
- الحروب الصليبية التي بدأت حوالي 1096[3] والتي نقلت النظرة الرافضة للشرق إلى عمل عسكري مبرر دينيا من طرف البابا بأنه "من أجل تخليص قبر المسيح"[4]، مناقضة في ذلك كل أصول الدين المسيحي التي لم يشرع فيه قتال، وطيلة هذه الحروب بقي اهتمام الجماهير بالشرق الحقيقي وتاريخه معدوما أو يكاد[5]، إلا ما تصوره الكنيسة لهم.
- حروب الاسترداد الإسبانية التي انطلقت في عام 1031م[6] والمدبرة أساسا من قبل الكنيسة التي كانت تجمع لها الدعم من كل أقطار أوروبا.

وفي هذه المرحلة، كانت النظرة الغربية إلى الإسلام و العرب لا تزال ضبابية تقريبا[7] وغير متحررة من هيمنة الكنيسة فـ"مع قليل من الاستثناءات كان المسيحيون في أوربا الذين نظروا إلى

---

1 - الحضارة العربية في إسبانيا ، ليفي بروفنسال ، ط2 ، 1985، القاهرة ، ص: 101 . نقلا عن أعمال الملتقى الفكري الأول الذي نظمته مجموعة البحث في العلم و الثقافة بالتعاون مع كلية الآداب و العلوم الإنسانية يومي 6و 7 مارس 1996 وجدة . ص: 75- 96.

2 El Quijote, Primera Parte, Capítulo IX, págs. 107-108.

3 - الشرق المتخيل : 51

4 - الشرق المتخيل : 71

5 - الشرق المتخيل : 79

6 - الشرق المتخيل: 51

7 - الشرق المتخيل: 51

الإسلام خلال الألفية الأولى من المواجهة في حالة من الجهل فالقرآن لم يترجم فعليا إلا في القرن الثاني عشر، فأول ترجمة تمت تحت إشراف القديس بتر"[1].

أما الكنيسة أي الجهة الرسمية كانت تصور العالم الإسلامي دائما في صورة المتوحش الكاسر الذي يأتي على الأخضر واليابس، "وكان الشعور النمطي لدى المسيحيين حول الجيوش الشرقية هو أنهم: كان مظهرهم مظهر سرب من النحل، إنما بيد ثقيلة... فقد خربوا كل شيء"[2] وكانت تفكر دائما في ردعهم و القضاء عليهم.

ويرى روجي جارودي أنه بمثل هذا التصور المتعسف فوت الغرب فرص اللقاء مع الشرق وضيعها[3].

ويقول تييري هنتش "إن صورة الآخر المنتقصة موجودة لا جدال في الأمر آخذة بادئ ذي بدء شكل الهرطقة. تكونت في القرنين الحادي عشر، والثاني عشر في العالم المسيحي الغربي صورة شعبية عن الديانة الإسلامية ستترسخ وتستمر في الوجدان الجمعي، ثم في اللاشعور الجمعي."[4]

إذن في هذا المناخ الثقافي المسيحي – الذي يجهل أو يتجاهل الصورة الحقيقة للإسلام – سوف يتأسس الاستشراق بوصفه أول مؤسسة تعنى بمعرفة الشرق ومن ضمنه الإسلام، من هنا سوف يتطور موقف الكنيسة من رفض الاطلاع على ثقافة الإسلام إلى اتخاذ موقف تاريخي غير مسبوق في مجمع فيينا 1312م بإحداث كراسي الأستاذية في أبرز جامعات أوروبا لتدريس العربية واليونانية و العبرية و السريانية .[5]

ويذهب أغلب الباحثين إلى أن هذا القرار كان البداية في نشأة الاستشراق بوصفه معرفة للشرق ومن ضمنه الإسلام، فنشأة الاستشراق كمؤسسة تسعى لمعرفة الشرق و التعريف به عند الأوروبي لم تنفصل كما نلاحظ عن الكنيسة بل تأسست بقرار منها أي خاضعة لتوجهاتها.

---

1 - Albert Hourani , Islam in European Thought, , Cambridge University Press, 1991, PP. 8-9

2 - الاستشراق، إدوارد سعيد: 89 ، ترجمة كمال أبوديب ، ط2001 ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان. والكلام التشبيهي هنا لأحد رجال الدين المسيحيين في القرن 11.

3 - حوار الحضارات، روجي جارودي، ص: 81-87

4 - الشرق المتخيل: 81

5 - الاستشراق: 80

ومن المعلوم أن الصورة التي سوف يصيغها الاستشراق عن الإسلام سوف تعكس بالدرجة الأولى الموقف الكنسي التقليدي وتصوره المتخيل عن الإسلام، وهذا يظهر جليا في موقف المستشرقين الأوائل نذكر منهم:

- بارتملو ديربيلو **D'Herbelot** في كتابه "المكتبة الشرقية" الذي طبع بعد وفاته، عام **1697** [1] "وقد قرأ ديربيلو عددا كبيرا جدا من المؤلفات ...بالعربية، والفارسية والتركية، مما جعله قادرا على الاطلاع على معلومات حول قضايا كانت قد بقيت حتى ذلك الوقت محجوبة عن الأوروبيين"[2].

ويصف ديربيلو الإسلام ويسميه "المحمدية" وكما يذهب إدوارد سعيد "المحمدية هي التسمية الأوروبية العلائقية والمهينة، أما الإسلام و هو الاسم الصحيح ، فإنه يسقط ويدرج تحت مدخل آخر" [3] ويصف النبي صلى الله عليه وسلم بـــ" المنتحل " فيقول: " هذا هو المنتحل المشهور ماهومت، المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، نسميها نحن الماهومتية..."[4]

- دانتي أليغيري الإيطالي (**1265-1321**): صاحب الكوميديا الإلهية الذي بالرغم مما يحكى من صراعه مع الكنيسة فهو لم يستقل عنها في نظرته إلى الإسلام والمسلمين حيث وضع الشخصيات اللامعة التي عاشت قبل المسيحية في نفس فئة الوثنيين الملعونين مع المسلمين الذين جاؤوا بعد المسيحية...ونجده يفضل النظر إلى المسلمين وكبار فلاسفتهم باعتبارهم جهلة بالمسيحية من الأساس[5]. "ويكتب موضحا عقاب محمد صلى الله عليه وسلم: "انظر كم هو ممزق محمد وعلي يمشي باكيا "[6] كما اعتبر دانتي محمدا من ناشري الفضيحة والفتنة[7].

ولا تزال الكتابات التي تناولت الشرق في جميع الفنون تنضح بألوان التحامل والأفكار المسبقة والتصورات المشوهة عن الإسلام والمسلمين التي تنم عن مواقف مشحونة بالقوالب

---

1 - الاستشراق :93

2 - الاستشراق :93

3 - الاستشراق :94

4 - الاستشراق :94

5 - "التصورات الأوروبية للإسلام في العصور الوسطى وتأثيرها في الكوميديا الإلهية"، رشا حمود الصباح ، عالم الفكر، 3/11، ص 95.

6 - La divine Comédie , DANTE ALIGHIERI,Paris , Pulin et le chevalier libraires , 1855, P. 353

7 - - الاستشراق :94

النمطية، ولعل الكوميديا الإلهية لدانتي (Dante) لم تكن الوحيدة في مجال الأدب الاحتقاري للآخر وإنما ينضاف إليها الكثير كالملحمة الشهيرة الموسومة "أغنية رولاند" (La chanson de Rolland)، والمسرحية التراجيدية "ماهوميت" لفولتير (Voltaire)، و غيرها...

وبعد الانتصارات المتتالية للدولة العثمانية في أوروبا الشرقية أصبح الإسلام رمزا للرعب والخوف، و انعكس هذا في أغلب كتابات العصر، وأنصع مثال على ذلك ما كتبه الأديب الإسباني ميغل دي سيرفانتيس الذي شارك في معركة ليبانتو بين العثمانيين وأوروبا وكتب عنها قائلا: "وهذا اليوم كان أكثر سعادة عند المسيحية لأن فيه تم تراجع العالم وجميع الأمم عن الخطأ الذي كانوا يعتقدونه بأن الأتراك لن يغلبوا في البحر، في هذا اليوم، أقول أين بقي كبرياء العثمانيين وعلوهم المنكسر..."[1].

وهكذا سوقت الكنيسة لقرون طويلة صورة المسلم ذلك البربري المرعب المدمر الشيطاني[2]، ولم يستطع الاستشراق كمؤسسة على الأقل تطمح إلى معرفة علمية من التخلص من هذه الصورة المهينة بل بالعكس سيكون الموجه نحو صياغتها وتبريرها بالأحداث التاريخية.

وحتى آناء عصر التنوير الذي يعتبر عند الكثير تحررا من الكنيسة فمازالت الصورة هي نفسها تتكرر في الروايات والكتابات الاستشراقية، حتى قال تييري هنتش:" فمن قرأ روايتين أو ثلاث لرحلات القرن السابع عشر يكون قد قرأ العشرات: التصورات تتبلور على شكل نماذج وأنماط. فالباحث عن نمط بدائي لـ "الاستبداد الشرقي" يجده عند مونتسكيو. والساعي إلى تفهم مكانة الشرق في رؤيتنا إلى التاريخ يقرأه عند هيجل...."[3] أي ثمة في روح النهضة ما يعود إلى العصر الوسيط[4]

2. دوافع الاستشراق بين قصد المعرفة و قصد التشويه:

لقد صنف كثير من الباحثين دوافع الاستشراق إلى ما هو ديني وثقافي، وعلمي واقتصادي... واستعماري[5] إلا أن الهدف الأول المعلن من قبل المستشرقين أنفسهم هو قصد المعرفة العلمية، أما

---

1 - EL Quijote de la Mancha , edición, Barcelona, 1998, 2 vols.; Primera Parte, Capítulo XXXIX, págs. 453-454.

2 - الاستشراق : 89

3 - الشرق المتخيل : 19

4 - الشرق المتخيل : 19

5 - الاستشراق و المستشرقون ، د. مصطفى السباعي : 20-25 ، ط1 دار الوراق ، بيروت .

الدوافع الأخرى فتستنبط من أدبياتهم. إلا أن هناك قصدا يظهر ويختفي في طيات دراساتهم وهو تكوين صورة نمطية مشوهة عن الإسلام، لأجل ترسيخها بأنها هي الصورة الحقيقية للإسلام عند شعوب الغرب بل وعند المسلمين أنفسهم، وهذا انسجاما مع الموقف الكنسي القديم القاضي بحجب حقيقة الإسلام عن شعوب أوروبا، أي هناك وجهان للاستشراق: كما ذهب إلى ذلك إدوارد سعيد: الاستشراق الظاهر وهو العلمي والمعرفي، والاستشراق الكامن[1]، وهو استشراق التشويه والسلطة ...

فإذا كان الاستشراق الظاهر واضحا في إفادة البحث العلمي بمعلومات عن الشرق وحضارته ومن ضمنه الإسلام، فإن الاستشراق الكامن لا يظهر لأول وهلة بل يحتاج إلى كشف وتنقيب داخل أدبيات المستشرقين وأعمالهم، ومن العلامات الكاشفة عنه:

- **منهج المستشرقين في طلب المعلومة عن الإسلام** المتسم بالاعتماد على الواقع التاريخي وليس على الأصول المعتمدة من جهة، ومن جهة أخرى الاعتماد على الفرق الشاذة في صياغة موقف المسلمين من عدة قضايا كاعتماد برنارد لويس ومكسيم ردونسون على فرقة الحشاشين للربط بين الإرهاب و الإسلام.
- **القياس على تواريخ أهل الديانات السابقة**، خاصة في تكذيب المصادر الإسلامية وبالأخص السنة، التي روجوا الكثير من الشبهات عن تدوينها، كلها مستقاة من طبيعة تعامل أهل الملل الأخرى مع كتبهم من حيث التعديل والزيادة والنقصان.
- **التأويل البعيد:** فإذا كانت وظيفة المستشرق في المجتمع الغربي هي تفسير الشرق وترجمته لأبناء قومه فإن هذه الوظيفة بقيت صعبة للغاية لدرجة أصبحت فيه العلاقة بين الاستشراق والمستشرق تأويلية[2] تخضع لذاتية المستشرق وخلفيته الدينية و مناخه الثقافي.
- **الترسانة المصطلحية البديلة** [3]:

حيث استحدث المستشرقون انسجاما مع الموقف الكنسي العدائي في القرون الوسطى مجموعة من الاصطلاحات لتسويق الصورة المسيئة للإسلام، فالإسلام أصبح محمدية أو ماهومتية، فيفضلون النسبة لمحمد كشخص مدع تفاديا لعالمية الإسلام وصدقيته.

---

1 - الاستشراق : 217

2 - الاستشراق : 231

3 - الاستشراق : 318

والنبي أصبح منتحلا[1] انسجاما مع التصور المسيحي أن عيسى هو النبي المخلص والأخير وليس محمد صلى الله عليه وسلم.

أضف إلى ذلك مصطلحات أخرى تحمل من السب و الشتم الشيء الكثير.

و نتساءل هنا لماذا لم تقم المعرفة بوظيفتها في تصحيح نظرة الغربيين إلى الإسلام " ألم يكن في وسع هذه المعرفة الدفع إلى تقارب ما...؟"[2]

وهنا لا يستطيع المرء مهما كان حسن ظنه أن يتجاهل القصد السيء الذي رام تسويق الصورة المشوهة أكثر من رومه نشر الحقيقة، وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين الغربيين المنصفين حيث قال:" إن المعاينة التي أخضعت لها الأدبيات القروسطية، تظهر على الخصوص أن تداول الصورة المسيئة إلى الإسلام ناجم عن سوء النية أكثر منه عن الجهل"[3]

3. الاستشراق بين المعرفة و سلطة الاستعمار:

قال إدوارد سعيد:" وبإيجاز، الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه "[4]

وهذه الخلاصة التي انتهى إليها إدوارد سعيد في تعريفه للاستشراق تبرز بقوة تلك النظرية البنيوية التي تربط بين المعرفة والسلطة[5]، حيث تظهر المعرفة مسوغا بل وغطاء لسلطة منتج تلك المعرفة، و بحسبها يصبح الاستشراق وجها معرفيا لسلطة الاستعمار[6]، و هذا لربما ما يفسر انتقال الاستشراق من كونه نابعا من السلطة الدينية قبل عصر التنوير[7] إلى كونه نابعا من السلطة الاستعمارية بعده.

نعم لا يمكن تعميم هذه النظرة على جميع المستشرقين إلا أن التيار البارز دال على هذا المنحى بوضوح، حيث سيصبح الكثير من المستشرقين أواخر القرن التاسع عشر مستشارين لدى

---

1 - الاستشراق : 94

2 - الشرق المتخيل : 82

3 - الشرق المتخيل : 84

4 - الاستشراق : 39

5 - انظر جيل دولوز،

6 - حفريات الاستشراق ، سالم يفوت

7 - الاستشراق : 190

السلطات الاستعمارية، بل هم الذين صاغوا رؤية للإسلام كان لها تأثير واسع على الدوائر الحكومية عبر العالم الغربي بأكمله[1].

وأنصع مثال للمستشرق الذي بنى رؤية التفوق الغربي، والاحتقار للحضارات الشرقية على تمييز عنصري ظاهر، هو أرنست رينان (**Renan, Joseph Ernest (1823-1892**)[2] الذي اعتبر العقل السامي غير منتج للحضارة، وأن العلوم و الفنون الحضارية مقصورة على الجنس الآري الأوروبي[3].

وبناء على نظرة مثل هؤلاء تم إدراج الشرق داخل الجسد الغربي باستعماره حيث "حول التأثير المتراكم لعقود من المعالجة الغربية السياسية الشرق من فضاء أجنبي إلى فضاء استعماري"[4]

فالخلاصة هنا أن الاستشراق لا ينفصل عن نظرة أوروبا بكل طموحاتها التفوقية، و السؤال الذي يفرض نفسه هو: هل بمقدور مؤسسة علمية كهذه خاضعة لتصور مسبق أن تنتج نظرة حقيقية بموضوع بحثها بعيدا عن ضغط سلطة ما؟

4. الصورة المتخيلة عن الإسلام و أمل التصحيح ؟

من الأكيد أن الصورة التي صيغت عن الشرق – الإسلام سواء بواسطة متقدمي المستشرقين أو متأخريهم لم تكن تعبر عن الحقيقة السامية للدين الذي أنزل على النبي الخاتم، وهذه الصورة هي موجودة فقط في أذهان صانعيها ومخيلتهم، واتخذت خصائص لا تنفك عنها منها:

- أنها رؤية نمطية مشكلة بشكل نموذجي فكل من أراد الكتابة عن الاستشراق من الغربيين يصبح رهينا بقالبها مسجونا داخله، ويتجلى التنميط داخل الدراسات الاستشراقية في المكانة التي تحتلها تلك الموسوعات التي أصبحت مراجع معتمدة تقاس قيمة البحث العلمي بالإحالة عليها نذكر منها :

---

1 – الاستشراق : 221 ، و قد ذكر إدوارد سعيد : بعض هؤلاء المستشرقين المستشارين منهم : و نذكر من هؤلاء : سنوك هيرغرونج مستشار الحكومة الهولندية للشؤون الإدارية لمستعمراتها الأندونيسية المسلمة ، كما كان ماكدونالد و ماسينيون يستشاران على صعيد واسع من قبل الإدارات الاستعمارية ، كخبيرين في القضايا الإسلامية من شمال إفريقيا إلى باكستان .

2 – عالم اللغات و الأديان الفرنسي .

3 - Albert Hourani , Islam in European Thought, , Cambridge University Press, 1991, PP.29-30

4 – الاستشراق : 221

- دائرة المعارف الإسلامية[1] التي ألفها لفيف من المستشرقين صدرت الطبعات الأولى منه منذ 1913 بالأنجليزية، و ترجم إلى لغات أوربية أخرى.

- تاريخ كمبريدج للإسلام[2] الذي يشكل بانتظام مصدرا كليا من مصادر سنة الاستشراق[3]

●أنها نظرة سكونية أي ثابتة لا تتغير فمهما بدا للناظر في كتابات الغربيين عن الشرق تغير على مستوى الكيفيات فعلى مستوى المضمون ليس هناك تحول البتة حتى أنه مازالت " تنشر الكتب والمقالات بانتظام عن الإسلام و العرب دون أن تمثل تغيرا إطلاقا بالقياس إلى المماحكات الزعاف التي سادت القرون الوسطى و عصر النهضة[4].

●ثم إنها مستمرة من غير توقف تتابع جيلا بعد جيل دون انقطاع حيث "إن التمثيلات التي قدمها الاستشراق في الثقافة الأوروبية تؤول في النهاية إلى ما يمكن أن نسميه تواترا استطراديا، وتواترا لا يملك تاريخا وحسب بل حضورا ماديا و مؤسساتيا خاصا به"[5]

وبهذه الخصائص يصبح الاستشراق – بوصفه مؤسسة للتعرف على الشرق – عاجزا عن تغيير وإصلاح نفسه، يقول إدوارد سعيد: "إن الاستشراق، بنفسه وفي نفسه وكطقم من المعتقدات، وكمنهج للتحليل لعاجز عن التطور .بل إنه النقيض المذهبي للتطور"[6].

وإن كنا نسلم بأنه لا مجال هنا للتعميم بحيث لا نعدم وجود مستشرقين نزيهين موضوعيين حاولوا تصوير الموضوع على ما هو عليه حقيقة إلا أنهم كالكبريت الأحمر في ندرة الوجود، نذكر منهم:

الألمانية زيغريد هونكه مؤلفة الكتاب الشهير: "شمس الله تسطع على الغرب" الذي خصصته لذكر لمحاسن الحضارة الإسلامية و أثرها في نهضة الغرب.

وغوستاف لوبون الفيلسوف اللاديني الفرنسي وكان منصفا فيما كتبه عن الإسلام إلى درجة أنه واجه حملة شنعاء من قبل المفكرين الغربيين[7].

---

1 - Encyclopedia of Islam

2 - Cambridge history of islam صدرت طبعته الأولى بانجلترا سنة1970.

3 - الاستشراق : 301

4 - الاستشراق : 287

5 - الاستشراق : 275

6 - الاستشراق : 305

7 - الاستشراق و المستشرقون ، 79-80

وتييري هنتش وهو أحد الغربيين المعاصرين الذين قدموا نقدا لاذعا للاستشراق في كتابه القيم "الشرق المتخيل" حيث حاول التأسيس لتيار المصالحة مع الشرق.

وانطلاقا من هؤلاء نقتبس الأمل من الطرف الآخر بإمكانية تصحيح المسار، أي إصلاح المؤسسة الاستشراقية وذلك بخطوات تضمن السلامة العلمية في بحوثها كتجريد الدراسات الاستشراقية من استعماريتها[1] وكضرورة انتماء الدارس للشرق للمعرفة العلمية المحضة لا لسلطة معينة[2] مع التزام المنهج العلمي بالرجوع في معرفة الإسلام إلى مصادره الأصلية وتجاوز المشوشات التاريخية.

خاتمة :

وختاما نذكر أنه وإن كان الغرب في معرفته للشرق سقط في أخطاء شنيعة بقصد أو بجهل، فإن هذا لا يبرئ التاريخ البشري للمسلمين من أخطاء أيضا كانت هي المبرر في تصوير أهل الإسلام على تلك الصورة النمطية المسيئة، وعلى هذا فلا بد من تصحيح نظرة المسلمين إلى دينهم إذ تمثل خطوة المساعي الحسنة لإمكانية قيام حوار حضارات بين أهل الإسلام والغرب على قاعدة المشترك بين الأديان السماوية، وتجاوز التاريخ الصراعي الذي لا يخدم استمراره مصلحة الإنسانية.

---

1 - الاستشراق : 322

2 - الاستشراق : 323

تشويه صورة الإسلام بين الإفراط والتفريط

للدكتور: عبد الجليل ناوي خير
أستاذ بكلية الاداب والعلوم الإنسانية
-فاس – سايس

إن موضوع هذه المداخلة هو "صورة الإسلام بين الإفراط والتفريط" وهنا أعتمد على نقطتين أساسيتين ساهمتا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين. أولهما، الصورة التي يحملها الأجنبي عن الإسلام وهي صورة خاطئة ترتكز على مفاهيم مغلطة، إما متعمدة أو نابعة عن جهل يدعمها بالباطل أعداء الإسلام من أجل مصالح دينية وسياسية وعرقية كربط الإسلام بالعنف وتأويل مفهوم الجهاد بالعمل الإرهابي إلى غير ذلك.

أمـــا النقطة الثانية، فترتبط بالمسلمين أنفسهم وهي تعود إلى سببين رئيسيين:

أ- التقصير من طرف المسلمين في تصحيح صورة الإسلام بما يلزم من ردّ يتماشى ومبادئ الإسلام الحقيقية.

ب- سلوك بعض "المسلمين" الغير اللائق الذي يستغله أعداء الإسلام ضد هذا الدين الحنيف ليشوهوا صورته.

إن معاداة الإسلام ليست وليدة الأمس ولا حديثة العهد، فـــهي في نظرنا الراهنة تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي الذي شهد بداية الحروب الصليبية. فهي ذات جذور عميقة ومتشعبة تحمل كراهية متعمدة ومجانية لأن أعداء الإسلام يرون في تكتل المسلمين وانتشارهم وازدياد عددهم خطراً محدقاً بهم يهدد كيانهم و يتضارب مع مصالحهم.

وقد صدق رب العزة إذ قال في سورة البقرة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:120] صدق الله العظيم.

فهذه العداوة الدينية التي أخبر الله عنها اشتدت حدتها لما بات جليا لأعداء الله من أن الدين الإسلامي هو دين الحق تعتنقه خيرة أعلام الغرب بشكل متزايد فدقّ ناقوس الخطر عندهم وسعى كل من في قلبه فزع إلى محاربة الإسلام والمسلمين بشتى الوسائل الممكنة كي لا يعمّ انتشاره أكثر فلجأوا إلى العمل على تشويه صورة الإسلام لتسميم أفكار بني جلدتهم والمستضعفين من المسلمين ووصفوا الإسلام والمسلمين بشتى النعوت الدنيئة كالتخلف والعنف والهمجية والإساءة إلى الضعفاء والنساء والأقليات معتمدين في ذلك على التحريف وتزوير الحقائق وتصرفات بعض المسلمين بالإسم لا بالعقيدة الحقة.

تتجلى أساليب العداء التي يسلكها هؤلاء في وسائل شتى منها على سبيل المثال لا الحصر:

1) **العداء المجاني:** يشكل العداء المجاني عنصراً مهماً في تشويه صورة الإسلام. فمثلاً في سنة **1995** نشرت صحيفة "اليوم" البريطانية صورةً لأشلاء طفل يحملها أحد رجال الإنقاذ على إثر انفجار وقع بمدينة أكلاهما(**Oklahoma**) مرفوقة بعنوان بارز وهو "باسم الإسلام" والمؤسف ليس هو الإنطباع الذي تركته هذه الصورة في قلوب الناس فحسب بل كون هذه التهمة لا علاقة للمسلمين بها كما تبين ذلك من بعد إذ كان الفاعل جندي أمريكي شارك في حرب الخليج، ولكن تبين هذا بعد توغل الحقد في قلوب الناس. أصحاب هذه المغالطات أناس لهم عداء مجاني مع الإسلام، أمثال أوبراين (**O'Brien**) الذي عبر عن حقده قائلاً "المجتمع الإسلامي بشع لأنه يبدو بشع".

وفي نفس السياق و بعيداً عن هذا العهد قـــال فولتير، الذي ألف كتاباً في ذم الرسول "ص" في رسالة إلى الملكة كاترين الكبرى سنة **1762** ميلادية "إن المسلمين لعنة كبرى يجب التخلص منها".

2) **تحريف الحقيقة والتأويلات المغلطة:** وعياً من أعداء الإسلام بأن هناك من بني جلدتهم من لا يصدق بسهولة الإدعاءات الكاذبة إذ تبين لهم أكثر من مرة زعمهم الباطل، لجأ هؤلاء إلى الإستشهاد بالقرآن والحديث مفسرين ذلك حسب هواهم ينتقون ما يحلو لهم ويسكتون عن الباقي، ضاربين بعرض الحائط أسباب النزول، تراهم يفعلون كمن يقف عند "ويل للمصلين". فلإلصاق تهمة العنف والإرهاب وتشويه صورة الإسلام استشهد هؤلاء من السور التالية البقرة (**190**)، الأنعام (**6:151**)، الإسراء (**17:33**)، و المائدة (**5:32**) بما أسموه دعوة القرآن للمسلمين إلى العنف و قتال غير المسلمين، غافلين قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق﴾ الإسراء (**17:33**)

وكذلك ما جاء في سورة البقرة (**190**) ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ صدق الله العظيم. وجدير بالذكرّ بأننا لو سلكنا نفس الخطة لإستطعنا أن نستشهد من الإنجيل و التورات بوجود دعوات إلى القتل وسفك الدماء ولكن الموضوعية تستوجب علينا مراعاة سياق الكلام أو النزول. يضاف إلى هذا التحريف نوع آخر من التضليل وهو استعمال كلمة (Fondamantalist) التي تعني بالعربية "أصولي" ولكنها في ثقافتهم وبمفهومها المسيحي عبارة مشحونة بالكراهية، تحمل معاني سلبية ينعت بها كل متزمت، متخلف ومتطرف، ويذكر جون إسبوسيطو(John Esposito) بأن هذه التسمية اكتسبت حاليا

معاني أخرى مثل(Anti westernism)أي معاداة الغرب و(Islamophobia) أو الخوف من الإسلام. و يمشي في نفس السياق تحريف معاني كلمات أخرى كالجهاد، الذي يعرفه دانييل بايب (Daniel Pipe) "بالدعوة إلى قتل الأبرياء من طرف المسلمين لرفضهم اعتناق الإسلام مزكياً قوله بما جاء على لسان بن لادن.

3) ربط الإسلام بالتأخر و والفقر ومعاداته للمبادئ الراقية كالديموقراطية و الحرية وحقوق الإنسان: إن وسائل الإعلام الغربية تعمل جاهدة لإعطاء صورة بشعة عن المسلمين لأنهم – على حد قولهم– أصحاب دين يحث على الإضطهاد و معاملة المرأة معاملة سيئة تحرمها من أدنى حقوقها كإنسان(ة)، ويستشهدون بما يحرفون من تأويلهم للقرآن وما يصدر من تصرف سيئ من طرف بعض المسلمين الجاهلين بتعاليم الإسلام السمحاء. حقاً، إن هذه المغالطات يصعب على غير المسلم أن يفهمها إذ ما يقرأه فيما يخص الإرث وضرب النساء أو يراه من معاملة البعض لأزواجهم يثبت ويزكي ما يدعون. لكننا نعلم أن الله تعالى كرم المرأة وجعلها على قدم المساواة مع الرجل في قوله تعالى:﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبايل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ صدق الله العظيم (الحجرات:13).

أما الفرق في الإرث الذي يحاجوننا فيه إنما هو لكون المسؤوليات المادية من نفقة وكسوة ومهر إلى غير ذلك فهي تقع على عاتق الرجل وحده لذا فنصيبه الضعف وما هذا الفرق إلا لإقامة العدل و إلا لأصبح الرجل هو المظلوم. والمساواة بين الرجل و المرأة في الإرث حاضرة في ما سوى هذه المسألة إذ أن اللّه تعالى ساوى بين الأبوين في الميراث فقال سبحانه في سورة النساء (الآية 11) ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس﴾ وهذا دليل على مساواة الرجل والمرأة. إن الإسلام أعطى الرجل حقوقاً ليست للمرأة ومنح المرأة بدورها حقوقاً ليست للرجل كما ورد في قوله تعالى:﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾(النساء:32).

كما أن الدعوة إلى ضرب النساء لا تعني الضرب المبرح و قد سبقته في الآية الإشارة إلى معاملات أخرى قد تغنينا عنه إذ ترد معاملة النساء في تسلسل ترتيبي: قال تعالى﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ

نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء ــ 34). و من هنا يتبين بأن الله تعالى بعد مدح المرأة المؤمنة بيّن مراحل التعامل مع أصناف المرأة الناشز، فمنهن من تنفع معهن الموعظة و إلا فالهجر في المضاجع ولا يكون الضرب الغير المبرح إلا كمرحلة أخيرة و تفاديا للطلاق وخراب البيوت، غير أن تأويل هذه الآيات من شأنه أن يشوه صورة الإسلام وصورة المرأة. على الرغم من هذا فإن الإحصائيات في البلدان الغير مسلمة تشهد بشكل مدهش أرقاماً قياسية لسوء معاملة المرأة. فحسب **FBI** تتراوح نسبة الحالات التي تضرب فيها النساء في أمريكا بين **25** و**35** في المائة بمعدل امرإة في كل **15** ثانية أي **5760** امرأة في اليوم. تصل حالات الوفايات من جراء الضرب سنويا إلى **4000** حالة. وهي أرقام ترى وزارة الصحة أنها تتعدى حالتي الإعتداءات والحوادث معاً.

إن الإتهامات الجائرة والأوصاف الشنيعة التي ينعت بها الإسلام باطلة طبعاً ولكن المؤسف هو كوننا نرى في أعمال بعض المسلمين ما يزكي هذه الأباطيل و هذا و لاشك راجع إلى عناصر شتى يمكن تلخيصها في عنصرين أساسيين ألا و هما الإفراط و التفريط. فالإفراط يؤدي إلى الإنحراف عن الدين بسبب ضعف البصيرة و سوء الفهم للدين وهذا قد يؤدي بدوره إلى التطرف كاعتبار دم الكافر وممتلكاته حلال على المسلم أو الإنسياق وراء الجزئيات كتحريم التلفزيون تاركين ما هو أهم و معتبرين أنفسهم اللســـان الناطق باسم الإسلام. أمثال هؤلاء الضعاف تستغلهم وسائل الإعلام الغربية لتزكية طروحاتها كما حصل في **17** من دجنبر **2002** حيث استدعت ب ب س **2** أحد المتطرفين و هو يدعى أبو حمزة للتحدث باسم المسلمين في برنامج تلفزيوني ليفضي هذا الأخير إلى القول بأن الإسلام يدعو إلى قتل الكفار وأخد غنائمهم. وعلى نفس الوثيرة، نجد كتاب غربيين يؤكدون هذه العلاقة التي تربط الإسلام بالعنف كما ذكـــرذلك قيس العزاوي عن أن جاك روليه وهو أستاذ العلوم السياسية في جامعة روان (**Rouan**) الفرنسية قال بأن هذا الأخير يرى بأن الإسلام يوصي بقتل الكفار ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (التوبة.29) وهو بالتالي دين عنف– على حد قوله. كما نجد أقطاب اليمين المتطرف من أمثال فرانكلين غرام (**Graham Franklin**) يرفض القول بأن الإسلام دين مسالم و وصف جيري فالويل (**Jerry Falwell**) الرسول (ص) بأنه إرهابي وشدد (**Pat Robertson**) بات روبرتسن على أن من نسميهم بالإرهابيين لا يحرفون الإسلام بل يطبقون ما فيه.و إن من شأن هذه الشهادات

سواء على يد مسلمين يعوزهم الفهم الصحيح لدينهم أو غيرهم من المتشددين أن تعطي صورة مشوهة للإسلام. ومن هنا نرى أن الخلفية الثقافية لصورة الإسلام في الغرب ليست وحدها السبب في: تشويه صورة الإسلام بل إن أعمال و تصرفات بعض الفئات المنتسبة للإسلام تذكي نار الكراهية وتزيد في الطين بلة. إنك ترى بعض الفئات القاطنة بالخارج عوض أن تكون رسلاً لثقافة الإسلام وسفراء نموذجيين للمسلمين تراهم نقيد ذلك الإنطباع سواء بما يقولون أو بما يفعلون، لأن تصرف مثل هؤلاء وممارساتهم تساهم في إرساء الخطأ الذي طالما دافع عنه أعداء الإسلام بدعوى أنه حقيقة الإسلام.

أما التفريط فهو سلوك من نوع آخر تقع مسؤوليته على جميع المسلمين وليس على مجموعة معينة، و هو التقصير في إصلاح ما فسد و تقويم ما اعوج عوض التزام الصمت والتفرج.

إذا كانت صورة الإسلام قد صارت أقبح مما كانت عليه حسب ما ورد في كثير من الإحصائيات، مثل ما ورد في سويس إنفو **(Swiss Info)** إذ زادت نسبة الذين عندهم انطباعات سلبية عن الإسلام و ارتفعت من **39 %** إلى **46 %** بعد هجمات شتنبر و تصاعدت نسبة من يعتقدون بأن الإسلام دين يحرض على العنف من **14 %** عام **2002** إلى **33 %** حاليا وإذا كان للإسلام أعداء يدرسونه للطعن فيه، فسكوتنا عما يفعلون يمنح لهم كذلك فرصة لنشر دعايتهم المغرضة و لزعزعة إيمان بعض المسلمين الضعاف و تسميم أفكار الشعوب الأخرى ودفعهم إلى كره ديننا وهم كما تؤكد الإحصائيات ذلك ناجحون في هدفهم لأن الخطاب الأحادي الجانب لا يجد منافسا ولا ناهيا و بالتالي لابد من أن يكون له مفعولا. صمتنا الرهيب يجعل خطابهم الأخرص يصدح بدويّه في الفضاء و تحركاتهم الدائبة تشل حركتنا وكتابتهم الباطلة تقيد أيدينا وكأنهم يدافعون عن الحق ونحن نتستر على الباطـــل، رحم الله شوقي لما قال:

فشت الجهالة و استفاق المنكر *** فالحق يهمس و الضلالة تجهر

لعل وسائل الإعلام عندنا منشغلة بما هو أهم. كم من مرة أحن إلى سماع موعظة من شيوخ أمتنا الأبرار فألجأ إلى التلفاز أو المذياع فيطلع عليّ عوض ذلك شيخ من شيوخ الكمان. وكأن النفس تواقة للطرب و أي طرب. و حتى لما تجود قريحة البعض فالأمور لا تعدو أن تكون أكثر من ثرثرة تنساب مع الرياح. لا أنكر أن بعد الردود تستنكر بسخط و بشراسة ما يقع ولكنها لا ترقى حضاريا إلى مستوى الإقناع في كثير من الأحيان. فردود الفعل بإحراق السفارات وتكسير السيارات والنهب والسب والشتم إنما تزكي المقولة التي تنعتنا بالهمجية و التأخر و ما إلى ذلك

ونحن خير أمة أخرجت للناس. إن الخطابات التقليدية لا تصل إلى آذان من أغري بهم لأنها بلغة مبهمة تفتقر إلى وسائل الإقناع بالحجج العلمية الدامغة وأول حجة لنا هو التصرف الحضاري الذي يأمرنا به الإسلام.

وفي الختام أود أن أقول بأن الإفراط والتفريط سببان رئيسيان بما نحن عليه وما نحن فيه. الإفراط في الدين يؤدي إلى التطرف والتفريط في الدين يزكي هذا التطرف فلا إفراظ ولا تفريط. ألسنا أمة وسطا؟

المراجع:

Falwell, Jerry 1981
The Fundamentalist Phenomenon – Doubleday

Graham Franklin, 2002 : Religion and Ethics, Newsweekly
WWW. Pbs.org

قيس العزاوي 2005:
لماذا أصبحت صورة الإسلام سلبية في الإعلام الفرنسي؟
سويس إنفـــو / إذاعة سوسرا العالمية

Robertson, Pat , 2003: The Jihad Trail -- CBN News

Pipes, Daniel, 2002: The Islamic Threat : Myth or Reality
WWW. Foxnews.com/Story/0, 2933,60020,00.html

O'Brien, Conor Cruise, 1989: The Times, May 11th, 1989

سويس إنفـــو / إذاعة سوسرا العالمية
Swiss Info RGSSR Idee Swiss2005

تصحيح صورة الإسلام في الغرب: واجب العلماء ومسؤولية الإعلام .

للدكتورة: ناجية أقجوج
باحثة بكلية الشريعة – فاس

الحمد لله الذي قيض في كل وقت وحين من ينفي عن الإسلام انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين وأحاديث الأفاكين، وجعل المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين خاتم الأنبياء وسيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بالحق وسراجا منيرا.

أما بعد :

فأتوجه بالشكر لرئيس وأعضاء مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام على إتاحتهم الفرصة للباحثين للمشاركة في هذا اليوم الدراسي وعلى غرار الأيام التي مضت، وهي دلالة صادقة على اهتمامهم الخاص ووعيهم المسؤول وإيمانهم الشديد بمسؤولية الجميع في مواجهة الحملات الشرسة وضرورة الذب عن رسول الله والدفاع عن الإسلام والمسلمين، أمام حملات التشويه المتتالية والغزو الإعلامي، وفي وقت تتلاطم فيه أمواج الفكر وتواجه الفلسفات الإلحادية الدين الإسلامي من كل الجهات.

إن الموضوع في غاية الأهمية لأنه في غاية الخطورة لما له من تأثير سلبي ومباشر على ديننا وعقيدتنا وقيمنا وتراثنا وتقاليدنا.

وإن التعامل مع الحدث لا ينبغي أن يقف – في نظري– عند حد الخطب والأبحاث؛لأن هذه مصيرها الأدراج –كما تعلمون– وخصوصا إن لم تحظ بترجمة أو نشر، ولأن التصحيح لابد له من اتصال ومباشرة وفتح حوار مع الآخر، وفتح الحوار لابد له من استراتيجية محكمة وخطة عمل جماعية مركزة على العلم والإعلام.

هذه الاستراتيجية يمكن أن نأخذها ونتعلمها ونعلّمها من المنهج الرباني، ومن القرآن الكريم أمثلة عديدة؛ فخذوا مثلا أمر الله تعالى لسيدنا موسى –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– بالتحاور مع فرعون قطب الشر الأوحد في عصره والأقوى في زمانه إنما وضع له استراتيجية من أربعة عناصر:

العنصر الأول: قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقها يا موسى، فألقاها فإذا هي حية تسعى، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى، واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى،

لنريك من آياتنا الكبرى﴾[1]؛ دليل على ضرورة التهيئة والإعداد الجيد والاستعداد المحكم من أجل تنفيذ المهام.

العنصر الثاني: قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾[2]، فلا بد من فهم الآخر فهما صحيحا؛ فهم عناصر قوته ومكامن ضعفه ،الفهم من أجل التعايش وليس الفهم من أجل السيطرة، وبكلمة جامعة أعلم الله عز وجل سيدنا موسى بطبيعة فرعون أنه طغى.

وهنا يندرج واجب العلماء من أئمة ودعاة ومفكرين.

العنصر الثالث: قوله تعالى:﴿ قال رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري﴾[3]؛ ميزة التسلح الإيماني وضرورة التوكل على الله ، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

العنصر الرابع : قوله تعالى: ﴿اجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾[4]؛ قمة الوصف في أهمية التعاون وضرورته، ليشد بعضنا أزر بعض، ويكمل كل واحد نواقص الآخر، ومن هنا يأتي التحالف والتنسيق بين الدول والهيئات والمنظمات الحكومية في الغرب من أجل تكوين رسالة إعلامية تكون أساسا لفتح الحوار مع الآخر، ومن هنا تأتي مسؤولية الإعلام، ومن هذا الفهم جاء التفكير في موضوع هذا العرض فقلت: *تصحيح صورة الإسلام في الغرب واجب العلماء ومسؤولية الإعلام*. وإن كانت الفكرة قد تبلورت لدي انطلاقا مما انتهت إليه أشغال ندوة العام الماضي: "السيرة النبوية: تصحيح مفاهيم ورد شبهات"[5] .

والعنوان وإن كان يتكون من محورين أساسين: واجب العلماء ومسؤولية الإعلام، إلا أن أحدهما مكمل للآخر، ويبقى الإعلام هو الواجب الذي لا يتم الواجب الأول إلا به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، في عصر العولمة والفضائيات والإنترنيت، وفي زمن أصبحت فيه الدعاية علما له أصول وقواعد محكمة. كما أن العناصر المكونة لهذا العنوان لا تحتاج- في نظري- لتحليل

---

[1] - طه / 16-22 .

[2] - طه / 23

[3] - طه / 24-25

[4] - طه / 28-31

[5] - يوم دراسي نظمته مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام التابعة لكلية الشريعة – فاس، بتاريخ 17 ربيع الأول 1426هـ / 26 أبريل 2005 م، بمدرج الحاج أحمد ابن شقرون بكلية الشريعة.

أو فك رموز بقدر ما تحتاج إلى جواب عنْ عديد من الأسئلة: كيف يتم هذا الواجب، ومن بإمكانه تحقيقه، وما هي سبل وآليات إنجاحه... وأين تتجلى مسؤولية الإعلام، ومن هو الإعلامي الجدير بتصحيح الصورة...؟

ولأن كل تشويه لابد له من تصحيح فإن أية محاولة تصحيح لا تتم إلا بفهم صور التشويه والعناصر المساهمة فيه ؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، كما أنه لا بد من إقرار واعتراف ووقفة مع الذات قبل فتح الحوار، ولابد من ذكر حقائق أهمها:

- أولا: ليس كل تشويه في الغرب هو من قبل الغربيين فقط.
- ثانيا: ليس كل المشوهين لصورة الإسلام جاهلين بحقيقته.
- ثالثا: ليس كل الغربيين معادين للإسلام .

الحقيقة الأولى: يؤكدها واقع الحال، وتؤكدها باستمرار سلوكيات[1] بعض المسلمين في الغرب، وهذا باعتراف أشخاص عاديين ورؤساء منظمات إسلامية في الغرب، وأكد لنا هذا رئيس رابطة العلماء بالدنمارك السيد محمد فؤاد البرازي لما حل علينا في محاضرة[2] وسمعته يقول – وهو يتحدث عن صورة المسلمين هناك – (*إن في الدنمارك عددا مهما من المسلمين وخصص منهم عشرة آلاف من المغاربة منهم من يتجر بالمخدرات ومنهم من يشتغل بالسرقة وبلاوي أخرى ...*) لذلك كان نداؤه حينها: (*خذوا الأمر على محمل الجد وأوفدوا أصحاب الفكر الثاقب إلى تلك المجتمعات أوفدوا قوافل دعوية*)، وقد راجعت نفسي كثيرا قبل أن أكرر هذه الحقيقة لكن وجدت الإمام الغزالي وهو من تساءل عن مستقبل الإسلام خارج أرضه يقول: (*إن الصورة التي ارتسمت*

---

[1]- وإنما أدرج هنا سلوكيات المسلم لا لأبرئ الغرب وألقي بالتهم على المسلمين وإنما لأن الإعلام الغربي غالبا ما يخلط بل ويربط بين الإسلام وسلوكيات بعض الأفراد ممن فهموا الإسلام فهما خاطئا فأساءوا إليه من غير أن يشعروا ... أو بعض ممن انصهر في الحضارة الغربية وأصبح يجاري الغربيين في استهتارهم ... أو ممن قد يقدم المصالح الشخصية قبل كل شيء ؛ ولعل أبرز مثال على هذا قضية الحجاب في فرنسا؛ حيث إن عجيب المفارقات أظهرت أن المسلمات المتحجبات وخصوصا في صفوف الطالبات أقدمن على نزع الحجاب أثناء فترة مناقشة أطاريحهن مثلا نزولا عند أمر لجنة المناقشة ، في حين أن الفرنسية المسلمة المحتجبة اضطرت للهجرة خارج فرنسا من أجل متابعة دراستها حفاظا على مبادئ اختيارها الديني الجديد !

[2] – المحاضرة ألقاها في رحاب المجلس العلمي المحلي لفاس ، في موضوع : المسلمون في بلاد المهجر: واقعهم ومشاكلهم، بتاريخ 06ذو الحجة1426هـ/07يناير2006 م.

في أذهان الغربيين عن الإسلام تبعث على الخجل فطلاب المتع من أغنيائنا ألجموا أفواهنا عـــن أي اعتذار .. المال الإسلامي يراق بسفه في علب الليل وموائد القمار وأنواع التهلكة ..).

الحقيقة الثانية: تؤكدها على الخصوص كتابات وتصريحات المفكرين الغربيين سواء المنصفين منهم أمثال:برناردشو (الفيلسوف البريطاني)، و ول دورانت(المؤرخ الأمريكي) ولامارتين (الشاعر الفرنسي)...أو غيرهم[1] .

الحقيقة الثالثة: تؤكدها كذلك تصريحات المسؤولين السياسيين والمفكرين –التي نتوخى منها الصدق أكثر من أي شيء آخر – خصوصا تلك التي تأتي عقب حملة تشويه

أو حدث إرهابي ما كما حدث بعد أحداث 11 سبتمبر[2]، أو تلك التي تقاطرت على بعض الصحف مؤخرا وبسبب أزمة الرسوم التي قد تكون تصريح اعتراف أو مجـــرد اعتـــذار بطريقـــة خاصة... أو تلك التي قد تكون إنصافا كما في تصريح ولي عهد بريطانيا الأخير في جامعة الأزهر، ومثله الذي أدلى به سنوات قبل في أثناء زيارته لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية.

فإذا انطلقنا من هذا المنطلق – أي من منطلق الاعتراف بهذه الحقائق – نكون قد تجاوزنا إلى حد ما الفكر التقليدي بأن واجب المسلمين في تصحيح صورة الإسلام فقط بالتعريف بالإسلام وإبراز قيمه وتعاليمه..بل إن الواجب أكبر من هذا لأن الذي يصد اليهود والنصارى عن ديننا ليس جهلهم به، وإنما تجاهلهم له، وليس لأنهم لا يعرفونه وإنما لا يريدون الإسلام لأنهم يعرفونـــه حـــق المعرفة، ويعرفون محمدا عليه الصلاة والسلام، و يـــدركون أن ﴿الله أعلـــم حيـــث يجعـــل رسالته﴾[3].

---

[1]- أي غير المنصفين مثل تصريحات **بات روبرتسون** (الزعيم الديني الأمريكي المتشدد) بأن الإسلام دين المستعبدِين وليس دين سلام من خلال البرنامج التلفزيوني: "نادي السبعمائة "، وفي مقابلة أجراها مع القناة الأمريكية (FOX) وصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه سارق وقاتل وكما أساء إلى الدين الإسلامي.

[2]- تصريح الرئيس الفرنسي **جاك شيراك** الذي نفى فيه تهمة الإرهاب.

- تصريح البابا **بولس الثاني** الذي أكد من خلاله على احترام الكنيسة الكاثوليكية للإسلام.

- تصريحات رئيس الوزراء البريطاني **سيلفيو برلسكوني** الذي أثبت من خلاله براءة الإسلام من التهم الواردة، وإن كان قد هجم على الحضارة الغربية.

[3]- البقرة / 124.

إنهم – إن صح القول– في عناد يقوده الهوى وتؤرثه المصلحة ويحذوه الغرض ، فهم يخشونه على مصالحهم وسلطانهم؛ لذلك يكيدون له كل ذلك الكيد، وكل هذا الكيد الذي لا يفتر بشتى الطرق وبكل الوسائل عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر[1]، يحاربونه وجها لوجه، ويحاربونه من وراء ستار، ويستهوون له من أهله من يحاربه لهم تحت أي ستار[2] وهم دائما عند قوله تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم﴾[4].

المحور الأول : واجب العلماء.

إن واجب العلماء من أئمة ودعاة ومفكرين في تبصير المسلمين وتصحيح صورة الإسلام في أذهان وعقول الغربيين واجب عظيم شأنه كبير أثره مرجوة ثماره صعب تنفيذه لكن غير مستحيل تحقيقه إن شاء الله. هذا الواجب الذي يمكن أن ألخصه في أربع نقاط أساسية تتوقف كل نقطة على الأخرى.

* ضرورة تطبيق المرجعية الدينية ؛لأنها الأساس.(أولا).
* وذلك من أجل فتح الحوار، وترشيد فكر الأجيال الصاعدة في الغرب.(ثانيا).
* وهذا لا يتم إلا بتكثيف جهود المنظمات الإسلامية في الغرب.(ثالثا).
* وتكثيف جهود هذه المنظمات لابد له من دعائم وأسس أهمها وأولاها بالذكر: ضرورة تفعيل دور الخريجين من الكليات الشرعية.(رابعا).

1- كما في أزمة الرسوم، وقبلها آيات شيطانية ،والأصولية الإسلامية، والجهاد، والحجاب، والتعدد، وبيئة الأعمال ،وكما في تدنيس المصحف بسجن "كوانتانامو"وما يعرفه سجن "بيلمارش" البريطاني حيث يحرم المسلمون – الذين يزيد عددهم عن المائة – من أداء الشعائر الدينية....

2 – مثل ما تقوم به بعض القنوات الإعلامية في الغرب من استضافة بعض الجماعات التي تتكلم باسم الإسلام والتي لا تعرف عنه للأسف إلا الاسم والتي لا يمكن أن تخدم عقلية إلا عقلية ترسيخ الصورة النمطية المشوهة ، أو الترخيص لبعض الجهات والفئات الضالة والمضللة بإنشاء قنوات فضائية تحت اسم الإسلام ،والبث على نطاق واسع باللغات المختلفة من أجل تشويه الصورة أولا ومن أجل التأثير السلبي على المسلمين كما هو الشان بالنسبة للتلفزيون الإسلامي الأحمدي (**M.T.V**).

3- البقرة / آية 144.

4- البقرة / آية 119.

النقطة الأولى :

ضرورة تطبيق المرجعية الدينية في ترشيد الصحوة وفي أسلوب الحوار، وفي التصدي لأية محاولة تشويه ورد كل شبهة بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة عملا بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [1] والمجادلة بالتي هي أحسن: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[2]، مع تسخير كل الآليات اللازمة وتفعيلها التفعيل الأنسب والاقتداء بالرسول الكريم في مواقفه الحكيمة؛ مثل ما فعله مع عمير بن وهب الجمحي الذي أراد قتل الرسول (ص) وحضر لذلك كل الوسائل ودبر الأمر مع صفوان بن أمية – قبل إسلامه – لكنه (ص) استطاع بحكمة أن يجعل عميرا يسلم في الحال[3].

النقطة الثانية :

ترشيد فكر الأجيال الصاعدة في الغرب – الجيل الثالث والرابع على الخصوص- على اعتبار أنها تمثل الإسلام هناك وعليها يتوقف مستقبل الحضور الإسلامي، وهي تتحول يوما بعد يوم إلى جزء من النسيج الاجتماعي لتلك المجتمعات الغربية، ولأن الغرب أو بعض الغربيين لا يمكنهم أن يتعرفوا على ا لإسلام إلا من خلال التعايش ومن خلال سلوكيات المسلم[4] سواء مع المسلم أو

---

[1] - النحل / جزء من آية 125

[2] - النحل / جزء من آية 125

[3] - السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا – إبراهيم الأنباري – عبد الحفيظ شلبي، ط1 (1420هـ-1999م)،ص 640 - 641 .

[4] - وكمثال ما نقلته جريدة (le monde)في حوار لها ما فريديريك (الفرنسي المسلم = حميد) وهي تعلق على دور الممارسات المعيشة الصادرة عن جيران حميد أن هؤلاء – حسب تعبير الصحفي – كانوا يمارسون الدعوة إلى الإسلام فقط من خلال الفعل اليومي إنزال الأخلاقيات الإسلامية على الواقع، ويضيف صحفي (le monde) وهو يعترف- من حيث يدري أومن حيث لا يدري -أن هذا النمط الدعوي يقف وراء اعتناق العديد من المفكرين الغربيين الإسلام فكيف هو الحال مع أفراد محسوبين على العامة. أو ما نقلته مؤخرا الصحيفة الأمريكية (**كريسيان ساينس مونيتور**) عن اعتناق الجندي الأمريكي الإسلام من خلال تواجده وسط العراقيين .= نقلا عن مجلة المجتمع العدد 1693 . 18صفر 1427 هـ/ 18 مارس 2006 م . ص:13.

مع غير المسلم ، أو في ردود فعله – وهذا الأهم – في تعامله مع حملات التشويه المتكررة على اعتبار أنه يمثل الإسلام في الغرب[1].

النقطة الثالثة :

تكثيف جهود المنظمات الإسلامية وضرورة اختيار الدعاة الذي تبعث بهم إلى الغرب من أجل تصحيح المفاهيم الخاطئة؛ لأن جهود هذه المنظمات تبقى -كما وكيفا – جهودا لا تشفي الغليل ولا تصحح العليل سواء بالنظر إلى عدد الدعاة أو مستواهم المعرفي واختلافاتهم المذهبية، أو حتى الفترات المحدودة التي يتم فيها إرسال هذه البعثات إلى الغرب، وأدرج هنا رأيا لمراد هوفمان للتأمل حيث يرى – هذا المفكر الألماني المسلم -أن (*الدعاة الذين ترسلهم الهيئات والمنظمات الإسلامية مستواهم متواضع رغم أن بينهم نماذج طيبة إلا أن الصورة العامة ليست طيبة وبعضهم يتحدث عن الإسلام بصورة منفرة*)[2].

---

[1] – وأنا أورد مصطلح الإسلام في الغرب أود أن أقف وقفة لأؤكد على دور المفكرين في ضرورة النظر وتصحيح المفاهيم أو المصطلحات التي قد يكون لها أثر سلبي لا ندريه ولا ندركه وخاصة ونحن نتكلم عن التصحيح وإعادة البناء ونحكم على أنفسنا أننا مجرد جاليات مسلمة في الغرب أو أقليات مسلمة هنا وهناك... وهي مصطلحات ينبغي تجاوزها لأنها قد لا تعبر عن حقيقة الوجود الإسلامي في الغرب والذي يتصف بالشمولية والاستقرار والأصالة والتعايش مع المجتمعات الغربية، ويجب تعويضها بمصطلحات قد تؤدي الغرض المنشود مثلا : المسلمون في الغرب، المسلمون خارج العالم الإسلامي، الحضور الإسلامي في الغرب... ثم إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم الحاملة للأفكار المغلوطة والمشحونة بالصور النمطية القائمة التي لا تتناسب مع عقلية وتكوين المسلم من جهة، والتي تؤهل من جهة أخري الغربي إلى صياغة أفكار مشوهة – وفي سن مبكرة – انطلاقا مما تحمله تلك الكتب من أفكار خاطئة تعزز الانطباعات السلبية . الأمر الذي يقودنا إلى مسألة أهم وأعمق والتي تتعلق بضرورة إعادة النظر في كتب التراث خصوصا تلك التي يكون دخلها وتسرب إليها بشكل أو بآخر نوع من الآراء الباطلة أو الإسرائليات، والتي يتخذها المستشرقون منفذا لتشويه الصورة ، ومحاولة عرضها بطريقة صحيحة ومناقشة ما يمكن مناقشته ودحض ما يمكن دحضه ...أضف إلى هذا كله ما يحويه التراث الغربي من مواد مشوهة لصورة الإسلام تعكس ذلك الأثر السلبي للاستشراق التقليدي للقرون الوسطى ، والتي يمكن اعتبارها قنابل يمكن أن تسبب في أي لحظة أزمة بل أزمات لتشويه صورة الإسلام ، وبالتالي تجميد الحوار بين الشرق والغرب...

[2] مقتبس من حوار أجرته معه مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد204 / السنة 17 / ذو القعدة 1418هـ/ مارس 1998 م/ صفحة لقاءات وتحقيقات ، 16 – 19 .

النقطة الرابعة :

تفعيل دور الخريجين من الكليات الشرعية؛ لأن الوضع يتطلب علماء أكفاء على أعلى مستوى من الثقافة الدينية المتفهمة لكافة الأديان، والقادرين على التواصل والتحاور باللغات المختلفة؛ من أجل تحسين توجيه الخطاب؛ حيث إن الدعاة الذين يتوجهون إلى الغرب بالخطاب ينبغي أن يدركوا وبعمق أولويات الدعوة الإسلامية وأسس إنجاح الحوار، وأن يركزوا على الثوابت والقضايا محل الاتفاق مع إدراك المتغيرات والأخذ بعين الاعتبار المنظومة الاجتماعية التي سيلقى في ظلها هذا الخطاب ؛فالخطاب في وسط مجتمع مسلم يختلف عن الخطاب في وسط آخر،والتعامل مع الآخر الذي يختلف معنا في الفكر والمعتقد والدين يحتاج إلى نوعية خاصة من الدعاة الذين يدركون حجم التفاوت بين تكوين وثقافة المسلم وغيره.

لذلك قلت في مستهل الكلام نحن في حاجة إلى وقفة تأمل وحوار مع الذات قبل فتح حوار مع الآخر لنصلح مناهجنا وأساليبنا مع مراعاة الثابت وإدراك المتغير حتى نستطيع بل حتى ننجح في مهمة عرض الإسلام في عيون الغرب بطريقة حسنة ، وبذلك أؤكد أن التصحيح يجب أن يكون في الداخل والخارج مع التركيز على أن التصحيح ينبغي أن يبدأ من الداخل ومن داخل كل داخل... ولكي لا نصبح مساهمين بشكل أو بآخر في تشويه صورة إسلامنا بأخطائنا المتكررة، وتكريس تلك الصورة النمطية القاتمة ؛ فلماذا ونحن أمام أزمة الرسوم المسيئة لم يكن الرد في نفس الصحيفة الدنماركية – والصحف التي سارت على منوالها – بما كتبه المفكرون الغربيون المنصفون عن الإسلام وعن محمد عليه الصلاة والسلام أمثال رجاء جارودي ومراد هوفمان وجوستاف ليبون وبرناردشو وغيرهم كثير؛ فيكون الرد حكيما ومن باب:"شهد شاهد من أهلها"، وهذا هو دور الإعلام والمفكرين في المشاركة والتعاون والعمل على بث برامج أو نشر صفحات هادفة، ودور المؤسسات الثقافية ودُورِ النشر والترجمة .

المحور الثاني : مسؤولية الإعلام.

بعد واجب العلماء تأتي مسؤولية الإعلام باعتباره – وكما قلت – أهم العناصر المؤثرة في الخطاب الديني من جهة، وفي بلورة وتفعيل الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى التصحيح من جهة أخرى؛وهو الأمر الذي يتطلب عدة آليات يمكن أن ألخصها في النقاط الآتية:

النقطة الأولى :

ترشيد وسائل الإعلام وتكوين أجيال من الإعلاميين المؤثرين في الرأي العام، الموجِّهين غير الموجَّهين، لكي يكون الإعلام مركزا في إطار السلوك الصحيح، وأن يسعى باستخدام كل الآليات الممكنة لعرض الإسلام بصورة صحيحة حسنة في عيون الغرب؛ خصوصا إذا أقررنا واعترفنا أن تشويه الإعلام الغربي للإسلام إنما نتج عن ضعف الاهتمام بعرض الإسلام إعلاميا وبطريقة جدية في المراكز والمؤسسات الإسلامية في الغرب ، أو السماح لبض الفئات المضللة لإنشاء قنوات بث يتم من خلالها تقديم الإسلام بطريقة مشوهة وغير صحيحة؛ كما سبقت الإشارة للتلفزيون الإسلامي الأحمدي(M.T.V).

النقطة الثانية:

توظيف المنابر الإعلامية لخدمة عرض الإسلام على اعتبارها الوسيلة المثلى للرد على التهم والافتراءات ودحض الشبهات ؛ وذلك عن طريق إنشاء قنوات إسلامية تبث برامجها داخل المجتمعات الغربية بكل اللغات الحية من أجل ترجمة الحقائق وبلورة الثوابت الإسلامية، أو عبر مواقع الإنترنيت [1].

النقطة الثالثة:

التنسيق بين وسائل الإعلام الإسلامية وبينها وبين وسائل الإعلام في الغرب [2]، وضرورة الرصد الجيد والحذر مما قد يتسرب إلى تلك المواقع من تشويهات، أو ما قد تحمله من أهداف تنصيرية، أو الغزو عن طريق صور إباحية... [3]

---

[1] - ويمكن الإشارة بهذا الخصوص وعلى سبيل المثال إلى ما حققه مجلس العلاقات الأمريكي الإسلامي (cair)- council on american islamic relation خصوصا ما يتعلق بحملته عبر موقعه في الرد على الصحيفة الدنماركية .

[2] - البث الإسلامي الهولندي (NEW) نموذجا .

[3] -ومن باب المناسبة لا يمكن أن ننسى بهذا الخصوص أو نتغافل ما وقع مؤخرا في موسم الحج(1426هـ)، ولما فكر المسلمون في بث مباشر ومشترك حيث فوجئنا والإمام يخطب يوم عرفة بانقطاع الصوت وتعويضه بأغنية رخيصة من الفن الرخيص ولمدة دقائق عدة ، وما وقع يومها قد لا يكون أثار الاهتمام ، لكن يبقى صورة أخرى لا يمكن عزوها في ذلك الظرف بالذات وبتلك الطريقة لا إلى أخطاء تقنية ولا إلى شيء من هذا القبيل ، وإنما تفسيره الوحيد هو محاولة استفزاز وصورة أخرى من صور وحالات التشويه المعهودة، وأيا كان مدبرها ...

النقطة الرابعة :

التعامل مع الإعلام الغربي بمنطق التحديث لا بمنطق التغريب ، والعمل على إيجاد استراتيجية من أجل فرض أنموذج عربي إسلامي على الغرب كما حاول الغرب فرض أنموذجه... والسعي إلى الاستقلالية؛ بأن لا يكون إعلامنا مجرد اجترار لبرامج الغرب المشوهة على جميع المستويات، وبأن لا يكون إعلاميونا إمعة للإعلام الغربي، ولكن نقول لهم وطنوا أنفسكم إن أساء الإعلام الغربي أن تحسنوا... وإن كنتم تبصرون الذئب فلا داعي لاقتفاء أثره!. وهذا الأمر يدفعنا إلى ضرورة التفكير في تصحيح الإعلام من الداخل خاصة عندما يصبح إعلامنا التجاري مساهما من حيث يدري ومن حيث لا يدري في سلسلة الحملات التشويهية، وهو يعمد إلى بيع القيم من أجل شراء مواد إعلامية رخيصة هدفها هو الضرب في الإسلام والمسلمين: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[1].

ومن عجيب المفارقات بل من المفارقات المحزنة أن الإعلام في الغرب يقوم بدور جاد لدعم جهود الوحدة بين المجتمعات الغربية، يساند القرار الصحيح ولا يبرر بأي شكل من الأشكال القرار الخاطئ، بل إن الدول الغربية تسعى إلى إصدار قوانين زجرية ضد كل البرامج التي تخدش بالحياء...في الوقت الذي نجد وسائل الإعلام في البلدان العربية والإسلامية ترحب بكل فاسد وخبيث؛ وما الدليل على هذا إلا تلك البرامج الغربية الغريبة التي تغلغلت في بيوتنا والتي ليست في حقيقتها سوى فكرا وافدا وفد علينا، ومستوردا نستورده بالطرق المختلفة، ودخيلا دخل علينا من حيث لا ندري ... فأصبح الإعلام وسيلة لبتر كل أخلاقيات المجتمع الإسلامي، وتعليم مختلف فنون وأساليب ارتكاب الجرائم بشتى أنواعها وأكبر كبائرها... لذلك كان لزاما التعامل مع الإعلام الغربي بمنطق التحديث لا بمنطق التغريب.

النقطة الخامسة:

رصد كل ما يبث في القنوات الغربية [2] من أخبار وأفلام لتصحيح ما يصدر عنها من تشويه وافتراء وتهم عمدا كما يخططون أو غير عمد كما يبررون.. ومحاولة دحضها كل حسب نوعها بالحكمة والموعظة الحسنة والحجج الدامغة، فتواجه الأكاذيب بالحقائق سواء على مستوى الصورة

---

[1] البقرة / آية 10 – 11 .

[2] د : حسن عز وزي ، الإسلام وتهمة الإرهاب ، سلسلة تصحيح صورة الإسلام (العدد الأول)، ط - 2 / (2006م) ص112.

أو الكلمة أو الكاريكاتور، والأفلام [1] بأفلام تعكس روح الثقافة الإسلامية... وهذا لا يتحقق – في الحقيقة– إلا بشراء صفحات في الصحف الغربية، أو ساعات في القنوات الفضائية خصوصا تلك التي تحظى باستئثار الرأي العام.

النقطة السادسة :

التطلع إلى إعلام إسلامي يهدم أطماع الغرب في العالم الإسلامي، ويغنينا عن الفضائيات المسخرة لتحطيم الهوية الإسلامية، وترسيخ القيم اللاأخلاقية، وتكريس الثقافة المادية الفارغة؛ وذلك بإعداد أجيال من الإعلاميين المسلمين الذين يفهمون أهمية الرسالة الإعلامية، ويتفهمون خطورة المرحلة.

النقطة السابعة:

إعطاء الأهمية لصحافة الأطفال انطلاقا من صور البراعم ورسوم الكارتون، ومرورا بالكلمة الصادقة والخطاب الجاد الذي يوافق مستوى وعقلية أطفال القرن الحالي، وشباب القرن الذي يليه، ومراعاة دراية الطفل واتصاله المستمر بفضاء الإنترنيت، واعتبار البناء الأسري والترابط الاجتماعي والتكوين الديني،وانتهاء بصحافة طفل تقوم بدور مناسب في تثبيت قيمه وتنمية ثقافته والحرص على فصاحة لغته (لغة القرآن)،على اعتبار الطفل يشكل منفذا لأطفال الغرب؛ فطفل اليوم هو إعلامي المستقبل.

2-فالأفلام التي تنتجها هوليود وغيرها تعرض الإسلام وبشكل نمطي على أنه دين إرهاب ودين مولع بالحرب ، وبالتالي فالعرب سيئون إرهابيون،فمنها ما يصور العرب على أنهم أقل إنسانية من الغربيين وأن المرأة مذعنة ضعيفة وأن اللغة العربية بربرة هزلية مثل فيلم (والد العروس)، أو أنهم متخلفون غير حضاريين كما في الفيلم البريطاني(**سيف الإسلام**)، بل و لم تسلم الأفلام المقدمة للصغار والمعروفة بالكارتون من تمرير تلك الصورة عن الإسلام مثل فيلم (**علاء الدين**) الذي يظهر المسلمين على أنهم يعيشون من أجل المتعة الجسدية وأن الإسلام يعني عصر الحريم...وجملة من هذه الأفلام التي تعكس هذه الصورة القاتمة المعطاة عن الإسلام قد يتم تصويرها –وللأسف– في بلدان عربية وإسلامية.

-التربية الخاطئة للغرب /كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام،تحرير:جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ، ترجمة حسان بستاني ط1(2005)/ الفصل الثامن:إبراهيم أبوخطالة ،الغول الجديد تحت السرير،ص:245-248.

-صورة الإسلامفي الإعلام الغربي، محمد، بشاري/ط دار الفكر(2004م)،ص:129-130

خلاصة.

وأخيرا فإن الأهم من هذا الواجب والأكثر من هذه المسؤولية أن لا يظل المسلمون في مواقع الدفاع ينتظرون في كل لحظة ضربة من الغرب، ولكن الأجدر أن نكون في مستوى الإعداد الجيد والبناء القويم والعرض الحسن ؛ لأنه لا ينبغي أن نعلق أخطاءنا دوما على شماعة الآخرين، فلسنا في وضع ولا في موقع ولا في زمن نسمح فيه لأنفسنا بهذه السياسة. كما أنه ينبغي أن نحكم أنفسنا أكثر لأن خططهم ومشاريعهم المستقبلية تفوق أي تصور...وهم عازمون على إيصال مجتمعاتنا إلى أسفل سافلين وهم على ذلك ما استطاعوا، ولن يستطيعوا إن شاء الله.

لذلك وإننا إزاء هذه الحملات المتتالية أمام أمرين اثنين: إما أن نقول:﴿ ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾[1] ، وإما أن نحقق الأمر الإلاهي:﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾.[2]

توصية

وفي الختام وإن كان لابد من كلمة أخيرة وإن اتفق هذا الجمع المبارك على صياغة توصيات ما فإنني قد أتجاوز التوصيات التقليدية، وأقول إن توصيتي في هذا اليوم الدراسي هي : دعم مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام ؛ هذا *المولود الحسن في المنبت الحسن*، الدعم العلمي والعملي والإعلامي، خصوصا ومعنا اليوم علماء أكفاء وإعلاميون مقتدرون ولغويون متخصصون في اللغات المختلفة، لماذا أقول هذا الكلام ؟ لأنه إن استطاعت الصحيفة الدنماركية أن تحقق ما حققته وهي الصحيفة المغمورة، فكيف لا يمكن لهذه المجموعة المنبثقة من أعرق جامعة أن تفعل ومع اختلاف في الأثر المترتب طبعا، وبذلك نكون قد حققنا شطرا من هذا الواجب وكنا في مستوى تلك المسؤولية، وما هذا على جمعنا وجامعتنا بعزيز.

وأرجو أن يوفق القائمون على هذه الجامعة وهذه المجموعة في تحقيق هذا.

---

[1]- البقرة / جزء من آية 248.

[2] - طه / آية 42-43 .

الصورة النمطية للإسلام والعرب من خلال الصناعة السينمائية

للدكتور محمد غزيول
أستاذ بكلية الشريعة بفاس

مقدمة :

الكونية..الكوكبية.. العولة. صراع الحضارات. حوار الحضارات. الحرب الحضارية العالمية. الخطوط الفاصلة بين الحضارات، السيطرة السياسية للحضارات. كلها مفاهيم جديدة طرحت نفسها بقوة على ساحة الفكر والممارسة السياسية في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. إنها نتاج أزمة نظام عالمنا الجديد أزمة عدم اليقين.

شهد العالم المعاصر ومنذ تسعينات القرن الماضي تحولات سريعة حادة ومتلاحقة، حيث حدثت كثير من التغيرات الجذرية، والانهيارات الإيديولوجية، مما يؤكد أن العالم يلج – أو بالأحرى يقتحم –مرحلة جديدة تفرض واقعا مغايرا.. ولعل سقوط الاتحاد السوفياتي، وتفكك الكتلة الاشتراكية، وانتهاء الحرب الباردة، تعد من أهم وأكثر أحداث القرن العشرين درامية، لما أحدثه هذا السقوط المادي من آثار بالغة التأثير والخطورة على المستويين المحلي والعالمي.

وإذا كانت صورة العالم قد تبدلت إلى حد كبير وظهرت تجليات هذا التغيير بوضوح فإن أحداث شتنبر **2001** قد فرضت نفسها بوصفها نقطة تحول في تاريخ العالم، لأن عالم ما بعد شتنبر أصبح مغايرا لعالم ما قبل شتنبر، حيث جرى في النهر ماء كثير – كما يقال.

طرحت أحداث شتنبر الكثير من القضايا والمفاهيم التي دار حولها الجدل والنقاش، ولعل أهمها قضية صدام الحضارات التي انقسم الناس حولها – على مستوى الفكر والممارسة – شيعا وأحزابا... ولعل خطورة هذه القضية تعود إلى أنها أصبحت مصطبغة بصبغة سياسية واقتصادية، وباتت تؤسس لاستراتيجيات طويلة المدى في المجتمعات الغربية علاوة على التأثير الفعال على صناع القرار السياسي، إضافة إلى تأثيرها على شكل بنية الفكر الغربي، والعقل الجمعي **Image national** للمجتمعات الغربية خاصة بعد أن طغت ثقافة الصراع على بنية وثقافة هذه المجتمعات بعد أحداث الحادي عشر من شتنبر.

وإذا كانت ثمة عوامل ومتغيرات كثيرة أسهمت في تشكيل الموقف من قضيتي حوار الحضارات، وصدام الحضارات فإن وسائل الإعلام تعد من أهم تلك العوامل والمتغيرات خاصة في ظل هذا التطور الهائل والمذهل والسريع في مجال الاتصال والإعلام والمعلوميات. إنه انتقال بالموجة الحضارية الثانية – التي كانت تعتمد في قوتها ونفوذها على رأس المال والإنتاج الصناعي – إلى الموجة الحضارية الثالثة – التي تمثل فيها المعرفة المصدر الأساسي للقوة والهيمنة. وما من مجال – يقول د المهدي المنجرة في كتابه الحرب الحضارية الأولى من المجالات العلمية والعسكرية

والاقتصادية والثقافية والتربوية والفنية والسياسية والإدارية إلا وطالته الانعكاسات الإيجابية أو السلبية لهذه الثورة الهائلة. لقد حولت هذه الطفرة المعلوماتية العالم – فعلا– إلى قرية كونية تزداد فيها خطوط التماس بين مختلف مصالح الدول المادية والمعنوية كل يوم حرجا وحدة.

لقد أصبح اليوم بالإمكان بث المعطيات بسرعة الضوء وتحويل النص – صورة وصوتا– إلى أرقام، واعتماد الأقمار الصناعية في الاتصال وثورة الهاتف وتعميم المعلوماتية على مختلف مجالات الإنتاج والخدمات... حتى أصبح بإمكان المواطن في البلاد المصنعة من استقبال **200** ألف معلومة في اليوم الواحد.

إننا – إذن – أمام سلطة قاهرة صنفت بالرابعة، لها قوة الرأي العام بصورة أساسية اتجاه قضية من القضايا المطروحة دوليا.

أصبح من المسلم به أن وسائل الإعلام قد فرضت نفسها على المجتمع الدولي المعاصر، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياة الأفراد والمجتمعات، وإذا كانت وسائل الإعلام قد أسهمت بشكل واضح في تشكيل وصياغة الكثير من الظواهر الاجتماعية، فبإمكانها إذا أحسن استخدامها أن تلعب دورا محوريا في تحقيق التفاعل والتقارب والانسجام بين المجتمعات والمنظمات والدول عن طريق تبني قضية الحوار الحضاري، وغرس ثقافة الحوار في نفوس كل شعوب العالم.... وذلك بإعلاء القيم الإنسانية المشتركة التي جاءت بها كافة الأديان السماوية، وعرض الحقائق الموضوعية، وتقديم وجهات النظر المختلفة، وإقامة الحوار بينها للوصول إلى التقريب بينها...فوسائل الإعلام يمكنها أن تضطلع بأدق المهام وأخطرها في مجال تقديم الحقائق، وتصحيح الصور، وتحقيق التقارب بين الأديان، والمذاهب والأفكار.

غير أن السؤال – المطروح هنا– هل استطاعت وسائل الإعلام – وخاصة في الدول المتقدمة –أن تقوم بهذا الدور، لتخلق مناخا ملائما للحوار بين الحضارات على مستوى العالم، فيتبدل الصراع إلى تفاعل بين الثقافات والحضارات، فيعم الأمن والسلام ربوع العالم ؟

وبمعنى آخر هل أصبحت وسائل الإعلام الغربي أداة للحوار الحضاري؟ أم باتت آلية من آليات الصراع بين الحضارات؟ على ما يبدو أن كل المؤشرات والشواهد التي يعرفها واقعنا المعاصر تؤكد أن الأمر قد حسم لصالح الخيار الثاني.

ومن هنا يأتي اهتمام هذه الورقة باستجلاء طبيعة العلاقة بين الإعلام الغربي وتشويه صورة الإسلام وحضارته والعرب والمسلمين ... وخاصة من خلال الصناعة السينمائية التي يعتبر الإعلام الغربي متفوقا فيها إلى حد كبير.

إن وسائل الإعلام الجماهيري – الآن– أضحت من أكثر المؤثرات قدرة على إحداث تغيير في الصورة القائمة ، ولديها قدرة في التأثير على كل شيء يتصل بالفرد والجماعة والحياة ذاها ، بل لديها قدرة على النجاح في إعادة كتابة التاريخ والتأثير في تاريخ الشعوب، وتغيير الذاكرة العامة لجيل بأكمله.

ولما كانت الصورة الذهنية تكتسب أهمية بالغة في مجال العلاقات بين الأمم والشعوب، فقد عنيت الدراسات المتخصصة في مجال الإعلام الدولي بمفهوم الصورة الذهنية النمطية، وتحليل أبعادها وإبراز آثارها السلبية والإيجابية ورصد تطوراها وتبيان الدور الفعال لوسائل الاتصال والإعلام في تكوينها وصياغتها من جهة وتعديلها من جهة أخرى.

وفي هذا السياق فإن كثيرا من الدراسات تؤكد على أن وسائل الإعلام الغربية ووكالات الأنباء الكبرى لا تنقل عن العالم الثالث سوى المظاهر السلبية والاضطرابات وعدم الاستقرار والكوارث والفضائح ولا تنظر إليه سوى أنه مليء بالانقلابات والفساد والعنف والتخلف.

وتشير الأدبيات في هذا المجال إلى أن وسائل الإعلام الجماهيري الغربية (أمريكا – بريطانيا– فرنسا –ألمانيا) تقدم صورا سلبية للعرب والمسلمين، حيث تصفهم بالمكر والدهاء والطمع والشغف بالنساء، وتسود تلك الصورة كثيرا من المواد الإعلامية.

وكان لهذه الصورة السلبية التي تقدمها وسائل الإعلام عن العرب بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة لاسيما في ظل ربط الإسلام بالإرهاب والعنف أكبر الأثر في التلفزيون والأفلام السينمائية.

قامت باحثة أمريكية اسمها تيري **Terry** (ما بين **1982–1985**)بدراسة الصور النمطية للعرب في السيناريوهات السينمائية بتقسيم العقدة التي تركز على منطقة الشرق الأوسط إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

أ– يمثل النوع الأول من العقد المغامرات البسيطة، فيظهر العرب في أدوار الخصم أو الشرير ويظهر الإسرائيليون في دور البطولة أو ادوار الخير.

ب- يمثل القسم الثاني قصص الجاسوسية، في هذا الشق يظهر الأمريكيون والإسرائيليون كجواسيس متفوقين في علمهم وهم يحاربون قوى الشر، ويظهر العرب في أعمال مثل " صلاح الدين" **Saladin** والجهاد **Jihad** والعنقاء **Phonenix** كنوع من البشر يتوق عن طيب خاطر إلى استخدام أي طريقة دموية أو وحشية من أجل تحقيق غاياهم ... وفي الوقت نفسه لا تثار أسئلة أخلاقية حول حق الإسرائيليين لاستخدام أي طريقة من أجل الفوز.

ت- يشمل الشق الثالث الفكرة الأساسية المدعية بأن الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول الغربية تعتمد كليا على البترول العربي، وفي هذا السياق يبرز العرب وكأهم أشرار يتحملون تبعات نقص البترول في السوق أو زيادة الأسعار، والغرب تحت هذا الشق يتحمل ضمنيا تبرير أي عمل عدواني ضد العرب ودولهم من أجل السيطرة على النفط، وقميئة ذلك الاحتياطي النفطي للدول الغربية.

وتختتم تيري **Terry** ملاحظاقا بأن العرب هم أسهل كبش فداء، فوجود الصور النمطية السلبية سواء عرقيا أم دينيا والتي لم تعد تطبق على الإيطاليين أو البولنديين أو الزنوج هي بدون أدنى شك تستخدم عند الحديث عن العرب.

فبعد الهيار الشيوعية، وتفكك الاتحاد السوفياتي اتجهت السينما الغربية اتجاها آخر، فبعدما كانت تختار الهنود الحمر واليابانيين والروس وألمانيا الإيطالية كأعداد تقليديين أصبحت تتجه إلى اختيار العرب والمسلمين كأعداد في السينما الغربية.

وقد تم إنتاج مئات الأفلام ضد العرب والمسلمين بعضها تم تصويرها في إسرائيل، أو تم إنتاجها بواسطة إسرائيليين، وبعضها الآخر – مع الأسف الشديد- تم تصويرها في بلدان عربية وبممثلين عرب جسدوا أدوار الغباء والبربرية والهوس الجنسي كما أريد وخطط لترويجها.

والأمثلة التالية توضح وتبرز بعض شعور الغرب ضد العرب. فمثلا نجد فيلم **Desperate rescue** (إنقاذ يائس) يقدم قصة فيلم حول أم يتم اختطاف ابنتها بواسطة أبيها الأردني، الذي يهرب بابنته إلى الأردن موطنه الأصلي ليعمل على تنشئة ابنته تنشئة عربية إسلامية، ومحاولات أمها استعادقا لأمريكا.

ونجد من ضمن أساليب الدعاية للفيلم على غلاف شريط الفيديو خلفيات مضللة للهلال والمسجد والمئذنة، ومعها المسدس والقنابل، مما يوحي بالعنف لدى المسلمين والعرب.

كذلك نشاهد المشهد العاطفي والمؤثر بين الأم وابنتها عند عبورهما من الحدود الأردنية إلى الحدود الإسرائيلية، وقد ارتسمت على وجْهيهما علامات السعادة والراحة، مما يوحي بأن إسرائيل هي ثاني أفضل وطن ومأوى بالنسبة للأمريكان بعد أمريكا الوطن الأم... كذلك نجد في الفيلم انه من السهل جدا أن يتم اختراق أي دولة عربية لتنفيذ أي عملية داخلها، وتكسير كل القواعد لتخليص الابنة من أيدي الإرهابيين، حيث يكون الموت هو عقوبة كل من يعترض طريق الفريق الذي يحاول تخليص الابنة، وكذلك نجد الفيلم كما يعبر عن التسلية والدعاية لأمريكا يعبر عن الفارق بين إسرائيل والأردن.

كذلك الأمر في فيلم **True lies** (أكاذيب حقيقية) إذ يحكي الفيلم قصة عميل سري أرسلته الولايات المتحدة لتدمير تشكيل إرهابي يسمى رمز الجهاد، وهو من المؤكد تشكيل عربي إسلامي والذي يهدف إلى نسف وتفجير أربع قنابل نووية في أربع مدن أمريكية ... وفي نهاية الفيلم وبعد تحريك الأسطول الأمريكي إلى الخليج العربي نجد بطل الفيلم يقوم بقتل جميع الإرهابيين دون أن يصاب بخدش كعادة الأفلام الأمريكية.

وبعد ساعتين ونصف وهي مدة عرض الفيلم نجد أن المخرج يعمل في كل دقيقة على أن يبرز مدى غباء وحماقة العرب متمثلين في المجموعة الإرهابية. مما يعد تناقضا مع الخطة التي وضعوها، وكيف اخترقوا حزام الأمن الأمريكي ووضعوا أربع قنابل نووية في أربع من أكبر المدن الأمريكية، ومع ذلك نسوا أن يقوموا بشحن بطارية كاميرا الفيديو التي تصور قائدها وهو يرسل إنذارا وتهديدا لأمريكا.

من هنا نجد أن الفيلم يشبه ويقترب لأن يكون كاريكاتيرا عنصريا، حيث نجد أن العربي يبدو كإرهابي وقبيح ومحتجز للرهائن، ولا يعتني بالنظافة وغير كفء ولا يتقن عمل أي شيء.

ومن الأفلام الحديثة كذلك نجد فيلم **SYRIANA** وهو فيلم تدور أحداثه بين سويسرا وسوريا والكويت وإيران بين الجاسوسية التي تريد حماية المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وبين عمليات تكوين خلايا الإرهاب لتدمير إسرائيل، وبين الصراع على السلطة وآبار النفط الذي يذهب إلى حد خيانة العشيرة.

وقد شارك ممثلون من المغرب – أعتبرهم شخصيا من الدرجة الثالثة في السينما المغربية – لتجسيد وإظهار المسلمين كمجموعة من البربر متعطشة لسفك الدماء، كما يجسد الفيلم الأشخاص الذين يتم اصطيادهم للقيام بعمليات التفجير الذاتي هم أناس أميون، فقراء، لا مستقبل

لهم في أوطانهم ويتم شحنهم بأفكار معادية للغرب وإسرائيل من قبل أشخاص هم أجهل منهم في دور مظلمة موحشة، وبالمناسبة أريد أن أذكر أن معظم اللقطات التي تعالج محور الإرهاب قد تم تصويرها بالمغرب على أنها أماكن بسوريا أو إيران أو الكويت.

وهناك فيلم جديد آخر صدر سنة **2005** حاول من خلاله المخرج قلب الحقائق التاريخية المتعلقة بفتح صلاح الدين الأيوبي لأورشليم. هذا الفيلم تحت عنوان **KINGDOM OF HEAVEN GLADIATOR** وهو يتحدث عن المحارب الأخير الذي صمد في وجه صلاح الدين الأيوبي. حاول مخرج الفيلم أن يوضح للعالم أن صلاح الذي تفتخر به الأمة الإسلامية ما هو إلا إرهابي كبير غزا القدس طمعا في خيراتها مقلقا لراحة سكانها الذين كانوا يعيشون في طمأنينة وسلام.

مما سبق من أمثلة – وهي قليلة– نكتشف أن العرب أصبحوا هم العدو الجديد وكبش الفداء المناسب.

ولقد قدم الدكتور حميد النفيس – أستاذ الدراسات الإعلامية المساعد بجامعة رايس في ولاية كاليفورنيا، بحثا عرض فيه نماذج سلبية عديدة، من ذلك فيلم الكارتون الضخم "علاء الدين" الذي بلغت تكلفته **36** مليون دولار، واشترك في إعداده **600** فنان ظلوا يعملون ثلاث سنوات ونصف... أغنية الفيلم في المطلع تقول: أتيت من أرض، من مكان بعيد، تجوبه قوافل الجمال، ويقطعون فيه أذنيك، إذا لم يرق لهم وجهك – هو مكان همجي حقا، لكنه الوطن.

أما مسرح الأحداث ففي أرض تسمى "عبقرية الصحراء" حيث تكرر الصورة التقليدية لذلك العالم الذي أبدعته الحركة الرومانتيكية .

ومن بين المشاهد المؤثرة قول احد الحراس الغلاظ الشداد لعلاء الدين: سأقطع رأسك، احتفظ به تذكارا، أيها الجرذ...

وفي مشهد آخر يتم قطع يد الأميرة الرقيقة "ياسمين" بسيف عربي مخيف لأنها سرقت تفاحة وأعطتها لطفل جائع.(1)

إن صنع الصورة النمطية المسيئة للإسلام والعرب وترسيخها في العقل الجمعي **(National Image)** في المجتمعات الغربية ظاهرة قديمة ومتجددة، وهي ظاهرة ذات جذور

---

[1]- عبد العالم صالح طه :الإسلام في الفكر الغربي المعاصر(مجلة المنعطف عدد 12–1996ص 42).

تاريخية وفكرية تمثل لقرون عديدة ، ولتقرأ شهادة احد المتخصصين الذين درسوا هذه الظاهرة في صورها المعاصرة في الإعلام الأمريكي وهو الدكتور جاك شاهين من خلال كتابه "عرب التلفزيون" The Arab TV حيث درس ما يزيد على 250 كتابا هزليا ظهر خلال 50 عاما، بدءا من "دونالد داك" وحتى " سوبرمان" كما حلل مئات البرامج والرسوم الكاريكاتورية التي عرضت على شاشة التلفزيون مثل " بوباي" و " ميجور داد" وأفلام رسوم متحركة يفوق عددها 450 فيلما أولها " رقصة فاطمة 1983" وآخرها " علاء الدين" المشار له سابقا الذي صدر عن مؤسسة " والت ديزني" 1992م.

ويخلص " جاك شاهين" إلى القول: "لقد دلت أبحاثي على ان كلمتي " عربي" و " مسلم" تثيران ردود فعل عدائية لدى المواطن الأمريكي حيث أصبح مقتنعا بأن عرب ومسلمي السينما والتلفزيون هم نماذج حقيقية".

وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة ذلك إلى هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض ال 270 مليون عربي كما قد يكون الإسلام الذي يعتنقه ما يزيد على بليون إنسان، بينهم 6-8 ملايين أمريكي، أكثر الأديان معاناة من جهل الآخرين بحقيقته.

ويضيف "شاهين" أن "هوليود" قدمت منذ حرب الخليج الثانية ما يزيد على 40 فيلما منها "لعبة القتل" و "نينجا الأمريكي والإبادة" و "في الشمس" و "الدرع البشري" ... حيث غالت هذه الأفلام كلها في تشويه سمعة العرب، إذ عرضت شريطا لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم، ويمثلون في الوقت ذاته خطرا رهيبا يتهدد الآخرين"[1]

إن الصورة النمطية المسيئة للإسلام والعرب التي يروج لها الإسلام الغربي اليوم ليست إلا امتدادا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب وهي ذاتها الصورة التي سخر المستشرقون والمنصرون أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العملية لتثبيتها في العقل الاستعماري للغرب، واليوم تكمل بيوت الخبرة في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات الشرقية والإسلامية في الغرب ووسائل الإعلام الجماهيرية مهمة السابقين في الإبقاء على الصورة كما كانت. بل إن وسائل الإعلام الجماهيرية تعمل الآن – بسبب ما تمتلكه من قدرات تقنية وأساليب جذب مبهرة – على

---

[1]- صورة الإسلام في الإعلام الغربي : د عبد القادر طاش ص 7-8.

الترويج لهذه الصورة المسيئة للإسلام والعرب على المستوى الدولي، حيث أضحت هذه الصورة مادة إعلامية جماهيرية تعبر الحدود بلا تعب وتدخل إلى البيوت بلا استئذان في كل مكان من العالم.

إن هذا الواقع يعكس غياب التواصل الحضاري، وهذا التواصل كان دائما في اتجاه أحادي محكوم بالهيمنة الثقافية للغرب.

إن المثقف المسلم – يقول د المهدي المنجرة– مفروض عليه أن يستوعب الثقافة الغربية والإنجليزية والأمريكية، ويكتسب معرفة موسعة عن القيم والحضارة والتاريخ والأدب والفن والجغرافيا المتصلة بالمجتمع الغربي المهيمن، وبالمقابل لم يكن عند المثقفين الغربيين، وحتى على الصعيد الجامعي استعداد مماثل تجاه ثقافتنا. [1]

إن الحقيقة التي لا تقبل التغيير في ذهن الإنسان الغربي هي ضرورة استمرار عدم التوازن بين عالمي الشمال والجنوب، عالم الشمال الذي يمسكه أقل من 20./. من سكان المعمورة، ويستغل أكثر من 80 ./. من خيرات الكرة الأرضية.

[1]- موقع العالم الإسلامي من الدراسات المستقبلية(مجلة المنعطف عدد 12-1996 ص 26).

نظرا ت في حملات تشويه صورة الإسلام والرسول ﷺ في الإعلام الغربي والبرا مج التربوية بفرنسا

للدكتور أحمد بشنو

أستاذ بكلية الاداب والعلوم الإنسانية

– فاس – سايس

لا شك أن الإعلام أصبح يلعب دورا خطيرا في عالمنا اليوم، فهو يستخدم عدة طرق للتأثير في المتلقي وإقناعه بواسطة تقنيات مغرية ومختلفة... وهذا ما يؤثر تأثيرا كبيرا على الرأي العام، إذ أصبحنا اليوم محاصرين ليلا ونهارا بواسطة الإعلام الواسع والمتنوع من فضائيات وإذاعات وصحف ومجلات وكتب وملصقات وأخيرا مواقع الانترنيت، وهذا ما أطلق عليه بعض المراقبين ما يسمى ب: "مجتمع الإعلام والمعرفة"، بل ذهب بعضهم إلى وصف ما نعيشه اليوم بالثورة الإعلامية المعاصرة، وبحضارة الصورة.

ويشكل الإسلام أحد أبرز هواجس الغرب في الآونة الأخيرة، وذلك نظرا لما يمثله من قوة وجاذبية وتأثير جعلته يكتسح عدة مناطق من ربوع العالم، وقد كان لابد لهذا الغرب من إستراتيجية قوية تحاول دفع الإسلام والحد من انتشاره وانجذاب الغربيين إليه.

وفي سبيل تحقيق ذلك كانت هناك سياسة تسعى على قدم وساق للإساءة للإسلام عن طريق العمل على تشويه صورته وتمييع حقائقه عبر مختلف الوسائل الإعلامية والثقافية المختلفة، حتى إنه لا يكاد يوجد في الغرب من صورة للإسلام غير الصور النمطية السلبية الموغلة في الازدراء والاستخفاف بالإسلام وقيمه ومثله، وهو ما يتم – أساسا – عن طريق التغطيات الصحفية الزاخرة بالمغالطات والافتراءات، والتي إذا عززتها صور تلفزيونية مهينة أو رسوم كاريكاتورية مشينة (كما في أزمة الرسوم الأخيرة) فإنها بدون ريب سوف تتفاعل في ذهن الإنسان الغربي بشكل مستمر فتكون لديه ما يعتقد أنها حقائق صحيحة عن الإسلام، وبالتالي ترسخ في ذهنه صورة قاتمة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين.

لقد أنشئت عدة مواقع معادية للإسلام من طرف خصومهم المتطرفين الذين يعملون على تشويه هذا الدين الحنيف بأكاذيبهم، ويعملون على تحريف القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم .

فكيف نرى صورة الإسلام و النبي صلى الله عليه وسلم في اخطر وسيلة إعلامية في عصرنا هذا الانترنيت وكيف تقدم مقررات كتب التاريخ الفرنسية الإسلام والمسلمين؟

1- لماذا تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي ؟

لقد كتب بعض المستشرقين عدة مؤلفات سلبية عن الإسلام، وأنشئت مواقع متعددة تعمل في الاتجاه نفسه، وهكذا نجد أنفسنا اليوم معرضين لحملة شرسة من طرف الوسائل الإعلام الغربية، وذلك سعيا وراء زرع الكراهية والحقد تجاه هذا الدين الحنيف ومحاربته بكل قوة. فعلينا اليوم أن نكتب في الاتجاه المعاكس وللرد عليهم ولفضح نواياهم الخفية الحاقدة لنظهر للعالم أن المسلم الحقيقي ليس عنيفا ولا كسولا ولا جاهلا ولا حقودا ولا متخاذلا.

إن طرح بعض المزاعم الكاذبة والحاقدة التي يروج لها الغرب في جل وسائل إعلامه وهي متنوعة ومتطورة، موظفا لذلك كل التقنيات والقوالب والطرق الجذابة لينال من قدسية الإسلام وشخصية خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يستوجب منا أن نتصدى لهذه الحملات المغرضة والظالمة والمجحفة وذلك باستعمال نفس السلاح المستعمل من طرف الغرب وأقصد به الإعلام، الذي أصبح اليوم السلطة الأولى، وتفوق قوته في كثير من الأحيان القوة العسكرية، والذي يعد – بحق– الوسيلة المثلى لتحقيق التنمية والازدهار في عالم لا يعترف إلا بمنطق الهيمنة والاحتكار والتفوق.

لقد كانت صحيفة "جيلاندز بوستن" الدانماركية قد نشرت في سبتمبر الماضي 12 رسمًا كاريكاتوريًّا مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم. وأعادت عدة صحف أوربية و فرنسية وخاصة جريدة **France soir** و**Le Figaro** و**Le Monde** و**Le Nouvel Observateur** بعد ذلك نشر هذه الرسوم بزعم الدفاع عما أسموه "حرية التعبير" والتضامن مع الصحيفة الدانمركية.

وقد انتقد المفكرون المسلمون بشدة تعامل الغرب مع قضية الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وتبريره لهذه الانتهاكات بدعوى حرية التعبير. وشدّدوا على افتقاد الغرب لقيم التسامح، منتقدين في الوقت ذاته ما يسمى ب"العالم العلماني" الذي يتيح انتهاك القيم الدينية والأخلاقية مهما كانت. وقد كشفت قضية هده الرسوم ازدواجية المعايير الغربية في التعامل مع مسألة حرية التعبير والرأي. وإذا ما تجرأت بعض الأقلام الإسلامية وانتقدت هذه المعتقدات أو القيم فإن الإعلام الغربي يمضي إلى إدانتها بقوة، وهذههي بالفعل ازدواجية المعايير. ولا شك أن بعض الغربيين فقدوا أي معايير في مجال الفلسفة العلمانية حيث أصبحت الديانات جميعها بالنسبة إليهم (معطى اجتماعيًّا) من المعطيات الأخرى. ومن ثمة يمكن أن نفهم أن منظومة القيم لم يَعُد لها أي معنى في النظرة الغربية، فصار كل ما له طبيعة نبيلة ومقدسة محل سخرية وشكوك.

و هنا لابد من مطالبة الغرب بإعادة التفكير في الدور الحقيقي لوسائل الإعلام، وتجديد دعوة أطلقها من قبل الفيلسوف الفرنسي المسلم "ريني قانون" **René Canon** منذ حوالي نصف قرن، أراد من خلالها التنبيه إلى عدم الخضوع لهيمنة وسائل الإعلام في إشاعة ما يسبب خلطًا في الأفكار. لأنه إذا كانت وسائل الإعلام تريد أن تتجاوز مهمتها الإخبارية، فإنها على الأقل يجب أن تتجنب التحريض على الكراهية –وهو الأمر الذي تعتبره فرنسا من الجنايات– لأنه أمر ضد السلام.

هذا، وإذا كانت بعض وسائل الإعلام الغربية التي تدعي التسامح وتريد قياس درجة الرقابة حول حرية التعبير في البلدان الإسلامية عن طريق الصور الكاريكاتورية فإن الثقافة الإسلامية لا تحتاج لدروس في التسامح تستمدها من الغرب كما يشهد بذلك التاريخ. إن الأوساط الغربية ذاتها

هي التي أثبتت عن طريق هذه الصور الكاريكاتورية أنها غير متسامحة وبشراسة عن طريق رفضها لأي قدسية ولأي قيم ســامية يتبناها الآخر.

وفي هذا المجال يتناسى الغرب مبدأ فلسفيًّا أساسيًّا وهو أن حرية الفرد أيًّا كان تتوقف عندما تبدأ حرية الآخر أو بطريقة أخرى: ليس هناك حرية دون احترام الآخرين في ذواتهم.

لا يمكن تفسير ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من تغطية سيئة – للإسلام بشكل خاص – إلا بشيء واحد هو أنها مرتبطة بمراكز القرار السياسي. فالحكومات في الغرب منتخبة من شعوبها، وهي تعكس في الغالب التوجه العام للشعب، وفيما يتعلق بالشؤون الخارجية بالذات، لا يجد الشعب مشكلة في تفويض حكومته لتفعل ما تريد لثقته بأنها لن تنهج سياسة تضر بمصالحه الوطنية، أو على الأقل هكذا يعتقدون. والإعلام أيضا يعكس توجه الشارع، وليس صحيحاً على الإطلاق أن الشعب في فرنسا مثلا يتعاطف مع إسلاميي الجزائر بينما الحكومة والإعلام وحدهما يتخذان موقفا مؤيداً للجنرالات الذين انقلبوا على الديمقراطية. وليس صحيحاً أن الشعب البريطاني يتعاطف مع السودان أو يتفهم أوضاعه، وليس صحيحاً أن الشعب الأمريكي يهتم كثيرا بما يحدث للفلسطينيين أو اللبنانيين، وهكذا... ولهذا يتوجب البحث عن أسباب التغطية السلبية في غير هذه العلاقة. فالإعلام الغربي يتمتع باستقلال لا يتمتع به الإعلام في البلاد العربية، ويمكن أن يسوق المرء أمثلة كثيرة على ذلك مما يرقى إلى تدخل وسائل الإعلام في الغرب الديمقراطي في أخص خصوصيات الحكم، والتسبب في إقالة أو استقالة كبار المسئولين بل والحكومات، وفي تحريك الرأي العام نحو أو ضد هذه القضية أو تلك. والحقيقة أن التغطية الإعلامية الغربية لقضايا الإسلام والمسلمين سيئة وما تزال نشيطة إلى اليوم بل ربما أكثر مما كانت عليه سابقا في الماضي. وفي العقود الثلاثة الأخيرة صارت تنعتهم بالعنف والإرهاب والإساءة إلى النساء، والأقليات، وغير ذلك.

إن لهذا التشويه أسباباً عدة، يمكن تصنيفها إلى مراتب ثلاث، على النحو التالي:

أولا: الجهل، وكما قيل في المثل "الناس أعداء ما يجهلون". نادرا ما تجد من الإعلاميين الغربيين من يكلف نفسه مشقة تعلم الإسلام أو الإلمام بلغته أو ثقافته أو قضاء وقت كاف للتعرف على أهله. بل إن للجهل الغربي بالإسلام جذورا تاريخية عميقة. فالنهضة الأوروبية وما نجم عنها من عملية علمنة كانت تنطلق في كثير من جوانبها من حقد دفين على الإسلام. وهناك نظرية تاريخية في هذا الشأن تقوم على فرضية أن نشأة أوروبا بصورتها الحديثة تبلورت أثناء الحروب الصليبية كرد فعل على انهزام الغربيين الغزاة أمام الأمة الإسلامية. ومن هنا يمكن أن نفهم -حسبما يبين البرفسور كين ــ كيف أن أشد الرواد الأوروبيين دفاعاً عن الحرية والتسامح – أي فولتير – كان شديد الخصومة والكراهية للمسلمين، حتى اشتهر عنه أنه ألف كتاباً في ذم الرسول صلى الله عليه وسلم،

واعتبر الأتراك – يعني المسلمين – لعنة ينبغي التخلص منها، وأنه أرسل إلى الملكة كاترين الكبرى، وهو على فراش الموت، يعرب لها عن أسفه أنه يموت ولم يقتل مسلما.

وفي دراسة أجريت على كتب التاريخ المدرسية الفرنسية للصف الخامس (الصف الأول الإعدادي) في سنة 2000، تبين من خلالها أن الصورة السلبية للإسلام و للمسلمين تتمثل فيما تقدمه من مفاهيم خاطئة عن الجهاد والخلافة والوحي وصورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والشريعة وتعدد الزوجات وميراث البنت والولد... وفي هذه الكتب المدرسية بالذات يتم ربط الجهاد بالتطرف والإرهاب واعتبار الإسلام دينا لا تتفق مبادئه وتعاليمه وقيمه مع مبادئ وتعاليم وقيم الحضارات الكبرى وتعني بها الحضارة الغربية.

أما في كتب التاريخ المدرسية للصف الخامس طبعة 1997؛ فيقدم الجهاد على أنه عدوان وحرب مقدسة لنشر الإسلام و للدفاع عنه. و يجد التلاميذ بعض الآيات (وخاصة في كتاب "بلان") التي تحث المسلمين علي القتال دون توضيح للسياق وتقديم مفهوم الجهاد بهذه الصورة أو ذكر آية قرآنية مرتبطة بالجهاد دون شرح أو ذكر للسياق يوضح أن مؤلفي هذه الكتب من المدرسين لديهم أحكام مسبقة خاطئة عن الإسلام. ربما يعود ذلك إلي الحروب الصليبية أو أن المؤلفين يخلطون ما بين الإسلام كدين وبين العادات والتقاليد المحلية السائدة في الدول الإسلامية منذ القدم أو أنهم يخلطون بين الإسلام كدين وبين سلوك بعض المتطرفين من المسلمين أو أنهم يعتمدون علي مراجع ثانوية أو ذات ترجمات خاطئة. و ربما يفضل بعضهم إبراز البعد الحربي للنص مع إهمال السياق التاريخي أو الجغرافي أو الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي للنص العربي أو للآية القرآنية التي تقدم بعيدا عن سياقها فيفهم التلميذ أن الآية تحث المسلم علي قتال غير المسلمين ولم يعرف العرب مفهوم الحرب المقدسة إلا من الصليبيين.

ويبدو أن مؤلفي هذا الفصل يخلطون الأحداث التاريخية بالآيات القرآنية أو ببعض أجزاء الآيات القرآنية والتي تقدم بعيدا عن سياق نزولها. ويخلطون هذه العوامل بالحملة الإعلامية التي تشنها وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام. يقدم مثلا الجهاد في الكتب المدرسية في سياق حربي فقط، كما يقدم الرسول محمد ص كرجل حرب ينشر الإسلام بالقوة ولا يهتم المؤلفون بالسياق أو بشرح الآيات.

ثانيا: الإرث الاستعماري، وذلك أن معظم الدول الغربية استعمرت بلداناً في العالم الإسلامي، أو كان وما يزال لها طموحات فيه. وقد تأثرت التغطية الإعلامية بهذا الإرث، ويمكن أن نرى ذلك بوضوح في الطريقة التي يغطي بها الإعلام البريطاني على سبيل المثال أحداث السودان والجزائر مقارنة بتغطية الإعلام الفرنسي لها. فالبريطانيون يتعاملون مع السودان بمرارة لأنه كان مشروعهم الاستعماري الذي أفلت من أيديهم. ولذلك فهم من باب الانتقام من ناحية، وكذلك

مساندة للمعارضة في الجنوب – وفي الشمال أيضا – يتعمدون تشويه صورة النظام الحالي في السودان، وبشكل بشع جداً. بينما تظهر هذه المرارة في تعامل الفرنسيين مع أحداث الجزائر، التي يتباكى الفرنسيون – لا حكومة وإعلاماً فقط – بل ورأياً عاماً أيضاً على خروجهم منها، ويحلمون بأنه يمكن أن تظل لهم فيها الكلمة العليا مادام عملاؤهم مسيطرين على مقاليد الأمور. وفي المقابل نجد الإعلام البريطاني أكثر إنصافا لقضية الجزائر مقارنة بقضية السودان، بينما الإعلام الفرنسي أكثر إنصافا لقضية السودان إذا ما قورن بقضية الجزائر. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، أذكر منها على سبيل المثال صحفياً نيوزيلندياً يقيم في لندن توجه مرة إلى السودان ليعد فيلماً وثائقياً عن الأوضاع هناك. وعندما عاد، وجد صعوبة شديدة في إقناع إحدى محطات التلفزيون البريطاني بعرض البرنامج رغم أن المحطة وعدته بشراء الفيلم منه. لم تقتنع المحطة إلا بعد أن حذفت بعض المقاطع التي اعتبرت منحازة لصالح السودان، مع أن الرجل لا مصلحة له البتة في الانحياز. وكان من حسن طالعه أن اشترت الفيلم عشرات المحطات الأخرى حول العالم لما فيه من معلومات قيمة لم تعرض من قبل. كان البريطانيون منزعجين لأن الرجل لم يجد في السودان ما يتردد في الغرب من تقارير مزعومة حول انتهاكات مريعة لحقوق الإنسان وحول خطف المسلمين للأطفال والنساء الجنوبيين وبيعهم في سوق الرق، وحول إجبار الوثنيين والمسيحيين على اعتناق الإسلام.

ويمكن أن يضاف إلى هذا الشق فيما يتعلق بالولايات المتحدة بالذات، تأثير اللوبي الصهيوني الذي يتزعم صحفيوه وكتابه مثل جوديث ميلر، ومارتن كريمر، ويوسف بودنسكي، ودانيال بايبز، الحملة ضد ما يسمونه بالأصولية الإسلامية، ويحرضون الإدارة الأمريكية على اعتبار الأصولية عدوها الأول، وما ذلك إلا لأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن إسرائيل – التي يسهرون على خدمتها – لا يهدد وجودها ولن يقلعها من الأرض العربية إلا جيل ملتزم بالإسلام. وعلى عكس ما قد يظن من تدخل الحكومة الأمريكية لتوجيه الإعلام في أمريكا، فإن الإعلام ومن وراءه من مؤسسات صهيونية هي التي تتحكم في الأوقات الحرجة – وخاصة قبيل الانتخابات وعند الفضائح – ليس بالبيت الأبيض ومن فيه فحسب، بل وبمن في الكونغرس بمجلسيه.

إن جل وسائل الوسائط الغربية تعمل على تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتنعتهم بشتى النعوت السلبية، خصوصا بعد إزالة حائط برلين واضمحلال ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي. ففي أحد ملاحق جريدة لوموند **le Monde** المعروفة برزانتها وموضوعيتها، وهو "لموند الديبلوماسي" **Le Monde diplomatique** نلاحظ ملفا كاملا عن صدام الحضارات، حيث أن الغرب يستغل هذا المفهوم الخاطئ لتكريس الظلم والاستبداد تجاه الآخر. إذ بعد اختفاء الاتحاد السوفيتي كان على المخابرات الأمريكية أن تجد عدوا جديدا حتى يمكن لهذه المخابرات أن تبقى حية وحتى تتوصل بميزانيتها غير المحدودة، وكذا حتى تعمل باقي مراكز البحث الاستراتيجي.

والسؤال الذي بقي مطروحا هو: من يخلف "إمبراطورية الشر؟" كما كانوا يسمون الاتحاد السوفيتي في بداية السبعينات؟. وهكذا أطلق الباحث الأمريكي فرانسيس فوكوياما **Francis Fukayama** عبارته: "نهاية التاريخ" على الحقبة التي نعيشها باعتبار أن الحضارة الليبرالية هي التي انتصرت في آخر المطاف، وذلك بعد فشل الشيوعية. ولذلك فهو يؤكد أن سيطرة النظام الرأسمالي على الكرة الأرضية بأكملها أمر لا مفر منه، ولكن هذه النظرية لم تلق إلا نجاحا ضئيلا جدا.

وقد سعى اليمين الأمريكي على إيجاد عدو استراتيجي جديد، ولم يكن هذا العدو سوى الإسلام. لماذا حصل هذا الاختيار؟ لأن للإسلام عقائد ومبادئ سليمة وقوية، ولأن أكثر من مليار وأربعة مائة مليون من البشر يدينون به.

وفي سنة **1993** أكد سمويل هنتنجون **Samuel Huntington** بأن صدام الحضارات حتمي، ويقول بأن الحروب في العالم اليوم لن تكون بسبب الإيديولوجيات ولا الاقتصاد ولكن أسبابها ستكون ثقافية بالدرجة الأولى. فصدام الحضارات سيطغى على السياسة العالمية، ويشكل **11** شتنبر **2001** المنطلق للغرب ليخوض حربا عالمية تخلف الحرب الباردة المنتهية ضد الحضارة الإسلامية، ألذ أعداء الغرب حسب تعبير هذا الباحث. كما أن نظرية "**صدام الحضارات**" التي أتى بها المفكر الأمريكي صمويل هنتنجتون لم تلق هي الأخرى التأييد بل عارضتها كثير من الأوساط العلمية. وقد أكد هذا المفكر خطأ أن الحضارة الإسلامية بالذات ستصطدم بجل الحضارات الأخرى ولاسيما الغربية منها.

ونظرية هنتنجتون تقوم على جهل تام بالإسلام وأسسه السليمة وعلى تخوف من قوة مبادئه. وهناك منظرون غربيون آخرون ينحون نفس المنحى، ومنهم: برنارد لويس الذي يزعم أن العلاقة بين الإسلام والغرب كانت دائما مبنية على الصراعات. والذي نسي أو تناسى أن القيم الأخلاقية التي يتبجح بها الغرب، من حرية التعبير والعدالة والمساواة والديمقراطية، هي كلها قيم موجودة في الإسلام وبالخصوص قيمة السلام، فهو لم ينتشر بالسيف ولكن بالإقناع وبسماحة مبادئه، ثم جاء جان كلود الفرنسي سنة **1991** ونشر كتابا ملأه الغضب والحقد على ديننا الحنيف، بل وذهب في حوار مع جريدة **Le figaro** بتاريخ **1997/9/24** إلى نعت الإسلام بالتخلف وعدم القدرة على مجاراة الحداثة والتطور. لقد شبه المفكر الكبير إدوارد سعيد في كتابه: "تغطية الإسلام" الرأي العام الغربي بالجوقة التي تصيح بصوت واحد: "الإسلام تهديد للحضارة الغربية".

أما مجلة لكسبريس **L'Express** الفرنسية الصادرة يوم **2002/9/12** فقد نشرت مقالا لإريك كوران **Eric Coran** يطلب فيه إرغام المسلمين في فرنسا على الرضوخ للعلمانية. بينما ينعت برنار لويس في كتابه: "**ماذا حدث؟ الإسلام، الغرب والحداثة**". ويستشهد على ذلك

بأن المسلم لا يمكنه أن يشرع لأن ذلك من اختصاص الله وحده، وقد تناسى باب الاجتهاد. ومن بين ادعاءات هذا الكاتب الباطلة غياب الحرية، وحرية التعبير بالخصوص، وكذا الحرية في المجال الاقتصادي الذي تطغى عليه الرشوة ثم حرية المرأة، ونحن نعرف مكانة هذه الأخيرة في الغرب التي أصبحت عبارة عن جسد فقط، بينما ضمن لها الإسلام حقوقها كاملة غير منقوصة. وأكد برنار لويس أن المرأة المسلمة توجد في وضعية اجتماعية متدنية وهكذا فإن العالم الإسلامي يحرم من نصف ساكنته وهذا ينعكس على تربية الأطفال حيث أن أمهاتهم أميات...

ثالثا : سلوك المسلمين، سواء كانوا حكاماً أو محكومين. فعامة المسلمين، سواء المقيمون منهم في ديار الغرب أو الزائرون له باستمرار كتجار أو سائحين، بعضهم يسيء إلى الإسلام بشكل يفوق التصور. فبدلاً من أن يقدم الصورة الصحيحة لثقافة الإسلام وقيمه، ونموذجاً يقتدى به في زمن الانهيار الأخلاقي والتفكك المجتمعي في الغرب، نراه يعطي نقيض ذلك من الانطباع، سواء بما يقول أو ما يفعل. وهذا يسبب في العادة ردة فعل لدى الغربيين، بل ويوفر أرضية مناسبة لكل مغرض يريد أن ينال من الإسلام، كما يوفر فرصة ذهبية للعنصريين وللجماعات النازية الجديدة لإيذاء المسلمين والمطالبة بطردهم، وقد أرهبهم أن المسلمين أصبحوا الآن جزءاً لا يستهان به من المجتمع، بل يوشكون في بعض البلدان أن يصبحوا الأغلبية بعد عقود قليلة من الزمن حسبما تشير الإحصائيات والتوقعات.

نجد – وخاصة في بريطانيا – فئات من المسلمين لا تجد ما تشتغل به سوى النيل من أنبل ما أنجزته الحضارة الغربية، ومحل فخر الغربيين، ألا وهو النظام الديمقراطي، والذي ينعم هؤلاء المشوشون في كنفه بحرية لا تتوفر في أي بلد من بلاد المسلمين. بل إن كثيرين من هؤلاء يتعيشون من نظام الضمان الاجتماعي ثم ينبرون للتنديد بالديمقراطية التي توفر لهم المأكل والمسكن ويتوعدون بأن الخلافة على الأبواب، وحينما تأتي فويل لأهل البلاد، وهذا المثال ينطبق كذلك على فرنسا وباقي الدول الأوروبية.

ويمكن أن يندرج في هذا الباب انغلاق الجاليات المسلمة في الغرب على نفسها، وعدم وعيها حتى الآن بأنها يمكن أن تمارس دوراً سياسياً – تنبه له البعض أخيراً – يحميها ويحفظ حقوقها. وهنا نلاحظ أن بعض الغربيين – وهم بالمناسبة أقل الناس تقبلاً للآخر لأن حضارتهم لم تعرف التسامح والتعدد إلا مؤخراً – يستغلون انغلاق المسلمين، فيتحينون الفرصة للنيل منهم. وهذا ما حصل بالضبط مع اليهود من قبل عندما كانوا يقيمون في أحياء خاصة بهم تعرف بالغيتوات. وكما نشأت في الماضي النزعة المناهضة للسامية، ها نحن نشهد نشأة الكراهية للمسلمين، أو ما صار يعرف بالإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام).

ولاشك أن بعض الحكومات الإسلامية تتحمل قسطاً لا بأس به من المسؤولية، لأن كثيراً من الأموال والجهود تبذل في تشويه صورة الحركات الإسلامية – التي ترتبط في أذهان كثير من الناس، وليس الغربيين فقط، بالمشروع الإسلامي العام. بل إن بعض هذه الحكومات تدفع الأموال لبعض الإعلاميين الغربيين ليكتبوا كتابات مغرضة تشوه بعض رموز العمل الإسلامي. وكان من الممكن بما يتوفر للعرب والمسلمين من إمكانيات مالية العمل على تبديد كثير من الشبهات حول الإسلام وتقديمه إلى العالم بأسره في صورة زهية وجذابة. وهناك جهود في هذا المجال، لابد من شكرها ولكنها على عظيم فضلها تظل محدودة وقاصرة مقارنة بالجهد المطلوب وبكميات المال "الإسلامي" المهدور.

2- واجب تصحيح صورة الإسلام و المسلمين

يمكن للإعلام الإسلامي أن يقهر الغزو الثقافي الذي أصبحنا مستهدفين له في كل وقت وحين وفي كل مكان، و يمكن أن ننجح في هذه المهمة النبيلة والشريفة إذا توفرت الإرادة الحسنة والنية الطيبة والعمل الجاد والمسئول والجهود المخلصة.

فباستخدامها العلمي والإيجابي للإعلام، يمكن للدول الإسلامية أن تحافظ على هويتها وثوابتها وكرامتها، وأن تقف سدا منيعا أمام التحديات والتشوهات والمغالطات والأكاذيب التي يفتريها الغرب على ديننا الحنيف وعلى رسول الإنسانية عليه أفضل الصلاة والسلام. فعلى الدول الإسلامية أن تنتقل من مرحلة الاستهلاك الأعمى إلى الإنتاج في القطاعات الإعلامية المختلفة، من كتب ومجلات وصحف وشبكات إذاعية وقنوات فضائية ومواقع الانترنيت، ولكن شريطة أن تكون تلك الإنتاجات تتميز بالجودة العليا، وأن تكون زيادة على العربية، بلغات غربية مختلفة، لأن الإنسان عدو ما يجهل، وحتى يتم الحوار والتفاهم والتعاون بين كافة بني البشر.

وقد تحقق التطور الرهيب للإعلام بعد ذلك بالوسائط المسموعة والمرئية، وبالخصوص في العالم الغربي الذي يمتلك التقنيات والوسائل المتطورة، والذي يسعى للسيطرة على أذهان وعقول المتلقين وتسييرها وفق ما يخططه.

وأشير هنا إلى كتاب مهم جدا في هذا المجال وهو يتحدث عن التقنيات المتطورة التي يستعملها الإعلام الغربي للهيمنة على المتلقين، والكتاب بعنوان: "المتلاعبون بالعقول" الصادر عن عالم المعرفة بالكويت سنة 1999 من تأليف هربرت تشيلل وترجمة عبد السلام رضوان. وهنا يأتي دور الإعلام العربي والإسلامي الذي عليه التصدي لهذا التوجه السلبي للإعلام الغربي وبالخصوص عندما يتعلق الأمر بتشويه صورة المصطفى عليه الصلاة والسلام وصورة الإسلام ديننا الحنيف بصفة عامة. يقول الأستاذ يوسف الكتاني في تقديم هذا العدد:

"إن سيرة رسول الله هي دستور حياة المسلمين وجميع العالمين، فهي دستور للأخلاق والسلوك الذي ينبغي أن تسير عليه الأمة الإسلامية، وتتشبث به، لما تمثله من قيم عليا وسامية، ومبادئ عالمية نموذجية، لا يمكن أن تستقيم الحياة الإسلامية إلا بمثلها والتمسك بها، وصياغة حياتنا وسيرنا على مبادئها وقيمها التي تدعو إلى المحبة، والتسامح، والتعاون، والتآزر، والتآخي، والتضامن، ونبذ الخلاف والشقاق، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف، والالتزام بالحق، والاعتصام بحبل الله" (ص6 من المجلة).

أما الدكتور حسن عزوزي في كتاب : "**الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة وهم الصدام وحتمية الحوار**" فيسعى إلى نفي صفات العنف والكراهية للآخر التي أصبحت جل وسائل الإعلام الغربية تنعت بها الإسلام خصوصا بعد تفجيرات **11** شتنبر **2001**. كما أنها تتهمه بالعدوان وعدم الرغبة في الحوار حتى تكونت لدى أكثرية المتلقين الغربيين عقدة الخوف من هذا الدين المسالم والمعتدل وهي ما أطلقوا عليها مصطلح **L'islamophobie**.

والحقيقة أن الصراع ليس لا في مصلحة الغرب ولا في مصلحة المسلمين كذلك. فحضارة الإسلام تنبني على حضارة "لا إكراه في الدين" والتعددية والعدل والمساواة، والحوار الذي لا مفر منه.

ولا يمكن بتاتا للغرب أن يفرض حضارته ونظرياته وقيمه على باقي الحضارات، لأنه مطالب بالتعاون والتفاهم والتعايش معها، خصوصا في عصر التواصل الإعلامي والعولمة الزاحفة.

والإسلام يسعى إلى الحوار والاحترام المتبادل والسلام، وبهذا فهو يناهض فكرة "الحضارة العالمية الوحيدة"، والتي يعمل الغرب جاهدا على تكريسها وتجسيدها على أرض الواقع بواسطة الهيمنة والقوة والاستعلاء. وهذا ما ينتقده الفيلسوف الفرنسي والمسلم الشهير رجاء كارودي في كاتبه: "**حوار الحضارات**" إذ يقول: "إنه لا يمكن إجراء حوار حقيقي بين الحضارات إلا إذا اعتبرنا الإنسان الآخر والثقافة الأخرى كجزء منا نحن، تغمرنا وتوحي لنا بما ينقصنا...". ولهذا فحتمية الحوار مفروضة على الجميع لحل المشاكل العالقة، وعلى الغرب أن يتخلى عن نظرياته العدوانية تجاه الإسلام ولاتهاماته الباطلة إياه والتنازل عن تصوراته المفعمة بالتفوق والاستعلاء. وهذا ما دعت إليه مجلة "الايكونوميست" **L'Economiste** البريطانية في صيف **1994** في تحقيق على امتداد **18** صفحة بعنوان: "الإسلام والغرب" أكدت أن بإمكانهما التوافق واكتشاف أفكار مشتركة تقودهما معا إلى الحياة بسلام تام.

ومجمل القول إن جل وساءل الإعلام الغربية هاته تنعت النبي صلى الله عليه وسلم بشتى الصفات السلبية، فتارة يقولون إنه أحمق، وأخرى يقولون إنه نبي مزور، وأن القرآن من كلامه، وتارة ينعتونه بالشره الجنسي، لأنه تزوج تسع نساء مرة واحدة. ويمكن القول هنا أن أكثر شخصية

انتقادا في التاريخ هو الرسول صلى الله عليه وسلم. والمؤسف في الأمر أن من لا يعرف الإسلام ولا يفهم القرآن يمكنه أن يتأثر بهذه الادعاءات. وأخوف ما أخاف عليه هو شبابنا، وهنا يتحتم علينا إحداث مواقع مضادة على الانترنيت بلغات الغرب تشرح الإسلام الحقيقي الذي يرفض الكسل والخمول والجهل والعنف.

والجهاد في الإسلام هل هو إرهاب ضد غير المسلمين؟

ما هو موقف الإسلام من الحرية الدينية و من السلام ؟

يعتبر الجهاد عنصرا مشتركا في الكتب المدرسية الفرنسية التي تمت دراستها و يقدم بطريقة مشوهة أي من وجهة نظر التطرف و الإرهاب. و لذا قد يكون من المفيد إلقاء نظرة سريعة علي هذا المفهوم في اللغة العربية و الإسلام . الجهاد في العربية يعني بذل الجهد ليكون الإنسان مفيدا لنفسه وأسرته ووطنه أيا كان الوطن مسلما أو غير مسلم. والجهاد في القرآن هو بذل الجهد العقلي في حوار الآخر طبقاً لآداب الحديث في الإسلام: ﴿وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾. [الفرقان:52] أي وجادلهم بالعقل والقرآن وبالحجة والبرهان و قد أكدت علي ذلك الآية ﴿ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. [النحل: 125]. والحكمة هي العقل والمنطق اللذان ينبذان سياسة العنف و يؤيدان منطق السلام. وتحية الإسلام هي :السلام عليكم. وأحد أسماء الله الحسنى في القرآن " السلام ". وليلة نزول القرآن سميت في القرآن ليلة السلام " سلام هي ". ويردد المسلم كلمة السلام عدة مرات في كل صلاة. يفوح السلام من لفظ الإسلام المشتق من الجذر العربي السامي س ل م الذي يعني في كل اللغات السامية الأمن و الإنقاذ و السلام. نهى القرآن عن قتال غير المسلمين. وأمر المسلمين بالقتال للدفاع فقط: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ البقرة: 190. و تشير الآية القرآنية التالية إلي وجوب احترام حرية الفكر والعقيدة :﴿ لا إكراه في الدين﴾ البقرة: 256. يحرص القرآن علي التأكيد علي حق الإنسان في الحياة ويعتبر القرآن قتل نفس سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة بأنه مثل قتل جميع الناس ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾. [المائدة: 32]. فهذه الآية تظهر تقديس الإسلام للحياة و مدي حرصه علي المحافظة عليها. ومعظم الغزوات في عهد الرسول محمد كانت بالقرب من المدينة مثل غزوة بدر وأحد والأحزاب بسبب هجوم أهل مكة المشركين على المسلمين، وقبل ذلك طردوهم من مكة. ولم يحارب النبي محمد وأصحابه إلا للدفاع. وكان فتح مكة بسبب نقض مشركي مكة لاتفاقية سلام وقعت مع المسلمين. فقد بدأ مشركو مكة بالعدوان على قبيلة موالية للمسلمين. والآيات السابقة ومواقف المسلمين في صدر الإسلام تعد مبادئ إسلامية تعبر عن روح

وتعاليم الإسلام و الثقافة العربية. وأما الآيات الأخرى التي تأمر المسلمين بقتال غير المسلمين فيجب أن تقرأ في سياقها التاريخي والجغرافي والاجتماعي والسياسي مع عدم التركيز علي البعد الحربي وحده. لقد انتشر الإسلام من خلال التجارة في شرق إفريقيا وشرق آسيا .وانتشر بالفتح في شمال إفريقيا. وهنا يجب التمييز بين استخدام بعض الحكام للإسلام من خلال الجهاد لتوسيع رقعة الإمبراطورية العثمانية وبين تعاليم ومبادئ وروح الإسلام. يجب التمييز أيضا بين الأحداث التاريخية و بين تعاليم و مبادئ الإسلام كما يجب التمييز بين الجهاد و بين الأعمال الإرهابية أو بين المسلمين و بين من يرتكبون أعمالا إرهابية باسم الإسلام أو من يستغلون الإسلام لتحقيق أهداف سياسية.

وهنا لابد من التذكير بأن تعاليم ومبادئ وروح الإسلام تعد مبادئ و قيما عالمية في عالم اليوم. كفل الإسلام للإنسان حرية العقيدة والفكر واتسمت سياسة النبي محمد ص بالعفو والتسامح عند المقدرة و أعطي أروع الأمثلة في ذلك أثناء فتح مكة حينما قال لأهل مكة « اذهبوا فأنتم الطلقاء». قالها للذين اضطهدوه وأجمعوا ذات يوم على قتله وهاجموه عدة مرات في المدينة ويؤكد القرآن علي هذا المبدأ –فمن عفا و أصلح فأجره علي الله– وتبين الآية التالية اهتمام الإسلام بالأخوة بين بني البشر و بمبدأ المساواة والانفتاح علي الآخر والحوار معه وأهمية التعارف ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثي و جعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا﴾. تعد سورة الحجرات الآية 1 ركنا من أركان التعارف. فالتعارف يأتي من خلال الحوار و الانفتاح علي الآخر. وتعد المبادئ الإسلامية السابقة قيما ترتكز عليها الحضارات العالمية القديمة و المعاصرة. نادي الإسلام بهذه القيم و المبادئ منذ أربعة عشر قرنا و عمل المسلمون الأوائل بها لأنهم فهموها فقدموا للإنسانية الحضارة العربية الإسلامية في صورتها المشرقة اللائقة بمبادئ وتعاليم وروح الإسلام التي تدعو للانفتاح و ليس للانغلاق، تدعو للسلام وليس للصراع.

فالتلميذ الفرنسي أو الأوروبي أو الأمريكي أو الإفريقي أو الأسيوي هو رئيس الدولة أو الوزير أورجل تربيت و تعليم او المستثمر أو السائح أو رجل الإعلام في الغد القريب. و تصحيح مفهوم ثقافة القتل والإرهاب التي تتسم بها الثقافة العربية الإسلامية سيغير نظرته لنا و يشجعه علي احترامنا والتعاون معنا. ينبغي علينا كذلك أن نوسع دائرة كتب التاريخ لتشمل كتب الجغرافيا والأدب ليس في فرنسا وحدها وإنما في جميع دول العالم. ويمكن للدول العربية والإسلامية التصدي لهذه المهمة وستكون التكلفة المادية محدودة جدا و أقل مما قد يتصوره كبار المسئولين. لا شك أن في إمكان هذه الدول مواصلة إرسال بعض أساتذة الجامعة إلي الجامعات و المعاهد الأوروبية لتصوير فصول كتب التاريخ المتعلقة بثقافتنا. كما يمكن لهذه الدول تكليف السفارات في الخارج بشراء الكتب المدرسية التي بها فصل أو صفحات حول الثقافة العربية الإسلامية، أو تصوير الفصول الخاصة بثقافتنا. ويقوم أحد أساتذة الجامعات الذي يعرف لغة وثقافة تلك الدولة بإجراء دراسة

عليها. وتتحمل الدولة قيمة تذكرة سفره وإقامته لمدة بعض الأيام في الدولة المعنية حيث تقوم السفارة بدعوة المسئولين عن التعليم لحضور اجتماع لمدة بعض الساعات يقدم خلاله البحث ويناقش وتتم المتابعة مع المسئولين وتقدم النتائج و الخلاصات ثم يتم نشرها على نطاق أوسع.

لابد إذن من أنشاء مركز أو هيأة مختصة في ميدان تصحيح صورة الثقافة العربية الإسلامية في الكتب المدرسية عبر العالم بوزارات التعليم العالي مع الوزارات الخارجية لإحضار الكتب المدرسية وإجراء الدراسات عليها. و لكن يبدو أن جهل الدول سواء المتقدمة أو النامية منها بثقافتنا يكلفنا وسيكلفنا الكثير. فإلى متى الانتظار؟ ولماذا؟ و لمصلحة من؟

﴿و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمومنون﴾ صدق الله مولانا العظيم.

صورة الإسلام
في حملات التشويه الغربية

للدكتور الأمين بامبا
باحث بكلية الشريعة بفاس

إن الإسلام دين له معتقداته وتشريعاته؛ والمؤمنون به هم المسلمون، وهذا يعني أن حقيقة هذا الدين شقان، الشق الأول: الإسلام وعقيدته وتشريعاته من العبادات والمعاملات ومصادرها الشرعية الرئيسة القرآن والسنة، والثاني: المؤمنون ومناهجهم في تأويل الآيات والآثار، ومسالكهم للامتثال للأوامر والنواهي الدينية.

إذن فمن سعى إلى الطعن في الإسلام أو تشويه صورته فإنه سيتجه إلى واحد من مكونات هذا الدين بشقيه، إما يوجه سهامه إلى أمر من معتقداته مثل موقفه من التماثيل وتصوير الأنبياء وترسيمهم عليهم السلام والأديان الأخرى، أو تشريعاته حول الجهاد والحدود والسياسة الشرعية، والحقوق والأموال، أو المؤمنين به كالمرأة المسلمة وحقوقها، أو مصادره كالقرآن والرسول وسنته عليه الصلاة والسلام؛ وعلى سبيل المثال فقد قام بعض المستشرقين بمحاولة طعن في كتاب الله القرآن الكريم، فكتب أحدهم حول لغة القرآن، وأطلعني عليه القس الذي كان مسؤولا عن الكنيسة الكتولكية بفاس، ويقول مضمون المقالة: إن اللغة العربية المكتوب بها القرآن الكريم الآن ليست هي اللغة الكتابية التي كانت سائدة في عصر نزول الوحي، إذ كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حروفا بدون نقاط ولا شكل. واستدل أحدهم بحرق خليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لبعض المصاحف التي كانت عند بعض الصحابة على أنها صحف قرآنية محرفة، ولذلك حققوا كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني، وخدموا السنة بمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ولكن بعضهم أساءوا إلى صاحب السنة صلى الله عليه وسلم برسوم كاركاتورية، فوسموه عليه الصلاة والسلام فيها بالإرهاب أي العنف، مع أنه عليه الصلاة والسلام قد قال: "ما دخل العنف في شيء إلا شانه". والإساءة إلى رسول الإسلام ليست سوى واحد من وجوه حملات التشويه الغربية، والدليل على وجود أوجه متعددة لتلك الحملات التشويهية الغربية للإسلام ما جاء في تقرير (مؤسسة كارنيغي للسلام) التي تترأسها ابنة نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني، والمؤسسة تهتم بالحركات الإسلامية والديمقراطية في الشرق الأوسط، وعنوان تقريرها:

المواقف الستة الغامضة لدى الأحزاب الإسلامية.

وأفسر هذا العنوان بالميادين الستة التي يشوه فيها الغربيون صورة الإسلام، بل إنها بعض أوجه الحملات الغربية لتشويه صورة الإسلام، لأن من اطلع على تلك الميادين أو الأوجه سيدرك أن جهود الغربيين في تشويه صورة الإسلام لا ينحصر في هذه المواقف الستة:

أولا: تطبيق الشريعة. ثانيا: استخدام العنف. ثالثا: التعددية السياسية

رابعا: الحقوق المدنية والسياسية. خامسا: حقوق المرأة. سادسا: الأقليات الدينية. وزدت سابعا هو: الاقتصاد والمعاملات. وثامنا: الجهل والأمية.

ولا يتسع المقام لتفصيل تلك النقاط، ولكن سأحاول ارتشاف الضرب من تلك الخلية، مكتفيا بإيضاحات يسيرة، وتلميحات دالة، وأمثلة مستوحاة من الإعلام الغربي والواقع المسلمي، (ولم أقل الإسلامي نسبة إلى الإسلام)، وإن كان يستعمل بمعنى المسلمين على معنى أهل الإسلام، لأنني أرى أن الإسلام شيء، والمسلمين شيء آخر، إنما العلاقة التي تجمعهما هي علاقة الإيمان والعمل، ولذلك قالت ماري ويلدز البريطانية المسلمة في كتابه: رحلتي من الكنيسة إلى المسجد لماذا...؟: "وهناك حقيقة مؤلمة أخرى هي أن السياسات المتبعة اليوم في بعض الأقطار الإسلامية، والمقرونة بتصرفات بعض الأفراد المسلمين عمقت بدورها هذه نظرة التشويه لدى الأوروبيين"[1]

أولا : تطبيق الشريعة.

يصور الغربيون الشريعة بـــأنها قانون بطر يد السارق، ورجم المرأة الزانية، وقطع الرؤوس باسم القصاص، فالشريعة بهذا المعنى تخالف حقوق الإنسان، ولا يقر أحد ـــ شرقا وغربا ـــ بأن السرقة حق من الحقوق، وأن الزنا حق من حقوق المرأة ـــ وأن القتل حق من الحقوق، ولكنهم أرادوا تشويه صورة الإسلام من خلال شريعته، فحصروا مفهومها في البطر والرجم والقطع مع أن تلك الحدود لم يفرضها الشارع إلا بشروط يجب تحقيقها في الجاني قبل تنفيذ الحكم، بالإضافة إلى أن الشريعة شرعة تشتمل على مجموعة من الأوامر والنواهي، ومنها الأمر بكسب الحلال مثل البيع والنهي عن الحرام كالغش والتزوير والغصب والرشوة والكذب وغيرها من وسائل الفساد. وإذا أعلنت أية دولة أو ولاية تطبيق الشريعة فهذا يعني فقط عند الغربيين قطع يد السارق ورجم المرأة الزانية مع أن تلك الأحكام تطبق على رجال ونساء على حد سواء، مثل بعض الولايات النيجيرية التي أعلنت تطبيق الشريعة، فأعطى الغربيون عدة جوائز لمحامية نيجيرية تدافع عن تلك النساء اللاتي يحكم عليهن بحد الزنا في الإسلام.

وهكذا الأحزاب السياسية الإسلامية إذا فاز أحدها في الانتخابات الديمقراطية فإن الإعلام الغربي يتهمهم بأنهم يسعون إلى تطبيق الشريعة وفق فهم الغربيين، أي تفعيل قانون قطع الأيدي والرجم والإعدام بقطع الرؤوس.

---

[1] – رحلتي من الكنيسة إلى المسجد لماذا...؟ ص 42

ثانيا : استخدام العنف:

هكذا ورد في تقرير (مؤسسة كارينغي للسلام) أي استخدام العنف، ويقصدون به ما تسميه الجماعات الإسلامية بالجهاد، وتنعتهم الغربيون بالإرهابيين، و"حديث بعضهم عن ظاهرة الإرهاب يتجه إلى الإسلام، وبالخصوص الآيات الجهادية، وقوله تعالى: (ترهبون به عدو الله وعدوكم)، فحاول البعض انطلاقا من هذه الآية أن تنفي عن الإسلام سمة الروح السلمية، ويصفه بأنه المؤصل والمؤسس للإرهاب، وقد سمع هذا الكلام من بعض الأكاديميين في فرنسا بعد أحداث 11 سبتمبر، وصرح بذلك في ندوات تلفزية وفي كتابات لا تحترم نفسها، دون الانتباه المنصف إلى أن المشكلة تكمن في نزع هذا المصطلح من سياقه القرآني ووضعه ترجمة لكلمة Terrorismeوإسقاط معانيها عليه"[2]، و" مما لا شك فيه أن من وراء الحملات المغرضة لتشويه صورة الإسلام واقامه بالعنف والإرهاب والتطرف تقف ترسانة إعلامية ضخمة، هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التمييع الموجهة ضد الإسلام والمسلمين"[3].

ويقول جيل كيبل Kepel Gilles :" إن الجهاد بكونه حربا مقدسة عند المسلمين يجسد السلاح الأقوى عندهم، إنه القنبلة الهيدروجينية للعقيدة الإسلامية تقوم بإقصاء كل الأشكال الأخرى من التمظهرات الدينية التي تتبنى التقوى والورع" [4].

ثالثا : التعددية السياسية:

بالرغم من وجود نظام السياسة الشرعية في الإسلام فإن الغربيين يتهمون الدول الإسلامية بالديكتاتورية، حيث لم يسمح خلفاؤها وولاقما سابقا، والآن حكامها بالتعددية السياسية، وسبب ذلك كما يزعمون يرجع إلى السياسة الشرعية التي تستمد من القرآن والسنة، وعلى هذا الأساس يشك الغربيون في نوايا الأحزاب الإسلامية، إذ يظنون أن قياداقما إذا وصلوا إلى السلطة بواسطة التعددية فإنهم سيلغونها لإرجاع الخلافة الإسلامية التي لم يعرف المستشرقون وغيرهم من مؤرخيهم لها معارضا سياسيا، وحتى إن وجد أحدهم يقتل لأنه خرج عن الجماعة.

---

[2] ـــ العنف في الديانات السماوية ص 43.

[3] ـــ الإسلام وتهمة الإرهاب د/ حسن عزوزي ص 56.

[4] ـــ صورة الإسلام في الإعلام الغربي، محمد بشارى ص 53.

رابعا : الحقوق المدنية والسياسية:

ويتهمون الفقه الإسلامي بعدم وجود الحقوق المدنية والسياسية، فالفرد لا يتمتع بتلك الحقوق في ظل نظام الإسلام كما يتمتع بها الفرد في المجتمع الغربي، وتحت ظل النظام الديمقراطي الغربي.

خامسا: حقوق المرأة:

أكبر حملات التشويه الغربية لصورة الإسلام تنصب على المرأة وحقوقها، واستعملوا في تحقيق النصر لحملاتهم بعض التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمرأة، فشوهوا نقل بعض أحكامها، واستغلوا إساءة بعض المسلمين تطبيق شرع الله وفهمه في حق المرأة، مثل تعدد الزوجات، زواج المتعة، الطلاق في يد الرجل، نصيب المرأة في الميراث، شهادة المرأة، وحقوق الإماء، وكيف يؤدب الرجل امرأته، ويسمح له بضربها، وفرض عليهن الحجاب، وختان البنات. وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين[5]، وغير ذلك من خزعبلات الغربيين والمتمسلمين، ولترسيخ الصورة السيئة عن المرأة في الإسلام لجأت وسائل الإعلام الفرنسية إلى كاتبة بنغالية وهي تسليمة نسرين **Taslima Nasren** التي تعرضت لمضايقات قضائية في بلدها البنجلاديش بسبب تشويه معاني نصوص قرآنية، حتى أنها صرحت على أنه باستثناء الآية الكريمة التي تحرم وأد البنات، فإن باقي النصوص القرآنية تحط من كرامة المرأة[6].

سادسا: الأقليات الدينية :

يشوه الغربيون صورة الإسلام من خلال أتباع الديانات الأخرى وهم أقليات دينية في المجتمع الإسلامي، فيزعمون أن الإسلام لا يعطيهم حرية كافية لممارسة شعائر أديانهم عبادة ودعوة، وأيضا أن الإسلام لا يسمح للمسلم أن يبدل دينه بحرية تامة، ومنذ شهر تقريبا دافع جل الزعماء الغربيين وإعلامهم عن عبد الرحمن الأفغاني الذي ارتد عن الإسلام وأصبح نصرانيا، فحاكمته المحكمة الأفغانية بتهمة الردة، فقال الرئيس الأمريكي جورج بوش: كيف تحاكم دولة قمنا بتحريرها شخصا اختار دينا آخر وهو ديننا (**les notres**)، وقال برسكوني رئيس وزراء الإيطالي: إن عبد الرحمن الأفغاني بطل ورجل شجاع، قال ذلك لما استقبلته إيطاليا كلاجئ سياسي.

---

[5] ــ مكانة المرأة في الإسلام احتقار المرأة في الدين والثقافة الإسلاميين ، حمدون داغر.

[6] ــ صورة الإسلام في الإعلام الغربي د/ بشاري ص 52.

سابعا : الاقتصاد والمعاملات:

يقولون: لو كان الإسلام دينا يشجع المؤمنين على العمل وبذل الجهد في الميادين الإنتاجية والصناعية لما كانت جل دولهم وشعوبها من أفقر دول العالم، بينما تجد الدول النصرانية متقدمة، وحتى اليهودية التي أقيمت لها دولة منذ نصف قرن، فهي الآن دولة صناعية نووية متقدمة على جل الدول الإسلامية كما قيل، وتجد الدول الإسلامية على رأس قائمة شبكات الفساد مثل نيجريا رقم 101 وبنغلاديش رقم 102.[7]

ثامنا: الجهل والأمية:

وتوصف الشعوب الإسلامية بالجهل، وأن نسبة الأمية مرتفعة جدا في العالم الإسلامي، والسبب هو دينهم، فالغربيون لا يصدقون أن الإسلام يقول: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، ولو كان المسلمون يؤمنون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على العلم والتعلم لما انتشر فيهم الجهل والأمية.

خلاصة القول :

إن تشويه صورة حقائق الإسلام في حملات الغربيين ينبني على عدة أمور:

1 – جهلهم أو تجاهلهم لحقائق الإسلام وشروط أحكامها.

2 – سوء عرض المسلمين إسلامهم، أعني الدعوة إليه بدون مراعاة شروطها الوارد في شعار هذا اليوم الدراسي، وهو قول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

3 – ربما بغضهم وحسدهم وكراهيتهم للإسلام، لأنه دين منافس للنصرانية واليهودية، وسريع الانتشار، ولذلك قال هانس كينغ وهو مفكر لاهوتي نصراني: "من هذا المنطلق أدعو إلى تفهم جديد بالنسبة إلى الإسلام يعترف فيه بصدق نبوة محمد وأن القرآن كلام الله".

وأختم كلامي بهذا الاقتراح، فأقترح على مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام التابعة لكلية الشريعة إعداد دراسة أو سلسلة تاريخية حول محاولات تشويه صورة الإسلام من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وكيف واجه علماء السلف والخلف تلك حملات

---

[7] ـــ كتاب شبكات الفساد والإفساد العالمية ص 337 ـــ 340.

التشويه الموجه إلى الإسلام بصفة عامة، وإلى مكوناته بصفة خاصة، مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته، أو القرآن والسنة وتشريعاتهما، والمسلمين وصلة تصرفاتهم الدينية والدنيوية بحقيقة دينهم الإسلامي.

﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم﴾.

صورة المرأة المسلمة في الغرب بين حملات التشويه و واجب التصحيح

للدكتورة فاطمة ملول

أستاذة بكلية الشريعة

بفاس

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد وضع الغربيون المرأة المسلمة في صورة نمطية مشوهة، وهاجموا الإسلام انطلاقا من معلومات خاطئة تفتقر إلى عمق المعرفة بدور النساء ومكانتهن، وزعموا أن المرأة مظلومة ومسلوبة الإرادة والحرية ومحرومة من حقوقها الإنسانية، وقد أثاروا قضية الحجاب واعتبروها تخلفا وجهلا، وانتقدوا نظام الإسلام في تعدد الزوجات، والإرث والطلاق، والشهادة، وغيرها من القضايا التي استغلها الغربيون ومقلدوهم لإظهار المسلمين بصورة يطبعها التخلف والجهل وعدم مسايرة العصر.

وهذه الانتقادات مهما كانت تقليدية، فإن توضيح الحقائق والرد على المدعين، لا يغدو عملا تقليديا مهما تكرر وأعيد القول في شرحه وبيانه، وسأحاول عرض هذه الآراء ومناقشتها والرد عليها من خلال المحاور التالية:

أولا: الحجاب

لا يوجد اليوم بلدا غربيا واحدا لم تصبه الحملة المستنكرة للحجاب، حيث يزعم الغربيون أنه تخلف وظلم في حق المرأة المسلمة، وتقليد بالغ لحريتها الشخصية، ولكي ترقى المرأة المسلمة في نظرهم إلى مستوى التحضر والتقدم، وتتخلص من الجمود والانغلاق، يجب أن تترك الحجاب؛ لأنه ممارسة خاطئة للعقيدة، وتسلط من الرجل، مما يمنع المرأة من الإسهام في تنمية المجتمع.

ومن العجيب أن تحتجب الراهبة في الغرب، وهي لذلك موضع احترام وتبجيل، ولم يستنكر أحد زيها أو يطلب منها التحرر خشية الاتهام بالرجعية[1].

والجواب الذي يمليه الفكر الموضوعي: هو عدم وجود أي علاقة بين الحجاب الذي شرعه الله تعالى وبين التخلف أو التقدم؛ إذ لم يكن يوما شكل الثوب الذي ترتديه المرأة ذا أثر في توجهها العقلي أو نشاطها الإنساني، فكثير من النساء بزيهن الإسلامي بلغن الذروة في اختصاصات علمية متنوعة، وأسهمن في ميادين اجتماعية مختلفة[2].

---

[1]- الجامعة الإسلامية، ص: 259، عدد 25 سنة 1419هـ -1992م.

[2]- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني: الدكتور رمضان البوطي، ص: 161.

وما فشل الغربيون في كشفه ومعرفته هو أن تاريخ الإسلام حافل بالنساء ذوات الإنجازات العظيمة؛ فزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعتزلن الحياة من حولهن، بل ظل لهن قدر من المشاركة والمتابعة لنشاط الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته قمن بدور كبير في تعليم المسلين أمور دينهم، فضلا عن تواصلهن مع الرجال ومحادثتهن لهم لمصالح متعددة؛ إذ الحجاب لم يمنع النساء من لقاء الرجال، إنما كان أدبا من آداب اللقاء[1].

ومن الأمثلة البارزة: أم المؤمنين خديجة، وأم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة، وغيرهن من النساء المؤثرات اللاتي قمن بدور فعال في تاريخ الإسلام، لابد وأن يقدره مؤيدو والمساواة بين الرجل والمرأة[2]، دون أن نغفل النساء المحجبات في عصرنا هذا، اللاتي تشغلن مراكز اجتماعية مهمة.

هذا وقد يربط الغربيون الحجاب بالتخلف حينما يقصدون بالحجاب حبس المرأة وتكبيلها والتضييق عليها، وحرمانها من العلم والعمل، فهذا الفهم من شأنه أن يجر إلى التخلف فعلا، ولكنه فهم مجانف لميزان الشرع وحكمه، ومن الظلم والتضليل الشنيع أن يحمل الإسلام نتائجه من خلال أعمال بعض المسلمين في زمان أو مكان معين، فهناك مسلمون في مختلف أنحاء العالم ويتفاوت، فهمهم للنصوص بتفاوت ثقافتهم وإداركهم.[3]

ومن العجيب أن تتعرض الفتيات بسبب لباسهن الإسلامي للطرد من المدارس والثانويات في بلاد الغرب، بدعوى أن الحجاب لا يلائم الصحة والسلامة، فأي شيء يلائمهما: الحجاب أم السفور؟ فالتقارير الطبية والأبحاث العلمية تؤكد أن المرأة المحجبة أقل النساء عرضة للإصابة ببعض الأمراض الخطيرة كسرطان الجلد، لأنها لا تعرض جسدها لأشعة الشمس[4]، وخير رد على من يدعي أن الحجاب يحول دون سلامة المرأة قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك

---

[1]- تحرير المرأة المسلمة في عصر الرسالة: عبد الحليم أبو شقة: 140/2.

[2]- التربية الخاطئة للغرب: جوكينسلو وشيرلي، ص: 253-254.

[3]- المرأة بين طغيان النظام الغربي: ص 165.

[4]- مجلة الوعي الإسلامي: "الحجاب صحة والتكشف مرض": ص 69 عدد 389، سنة 1414 هـ - 1998 م.

وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾.[1]

فالحكمة من الحجاب أن تختفي المثيرات الجنسية والمفاتن الغريزية عن أبصار الناظرين إليها من الرجال، فلا يثيرهم من المرأة شيء يؤدي إلى تحرش أو إيذاء، بحيث تعين المرأة من خلال سترها الرجل الناظر إليها على الانضباط، ويتعاون معها إنسانة مثله ذات مقومات علمية وثقافية وقدرات اجتماعية، لا على أنها كتلة من المهيجات الغريزية.[2]

وإذا كان الغرب لا يستطيع الاعتراض على التبرج بحجة أنها حرية شخصية، فلماذا لا يعتبر الحجاب حرية شخصية أيضا؟ ويترك المرأة المسلمة ترتدي الملابس التي ارتضتها لنفسها، وإذا كانت بعض النساء تستغلن الحجاب للتغطية على انحرافاتها، فهذا ليس مبررا للدعوة إلى ترك الحجاب، لأن الخاطئة هنا هي المرأة المنحرفة وليس الحجاب، ولا ينبغي تحريم شيء أو منعه، لأن البعض أساء استعماله أو استغله لغرض غير شرعي أو مصلحة خاصة.

وكان من الأولى توجيه هذه الحملة الضارية إلى النساء العاريات، خاصة وقد انتشر التحرش الجنسي، والاغتصاب، والاعتداء، بسبب تعري النساء وإثارة مفاتنهن، فهذه هي القضية الأهم، أما الهجوم على الحجاب، فما هو إلا تضليل صارخ وتشويه لحقائق دينية كان من المفترض ألا يخوض فيها الغربيون وأتباعهم.

ثانيا: تعدد الزوجات

يشنع الغرب بنظام الإسلام في الزواج، إذ يستطيع الرجل أن يتزوج أربعة، ويمتلك ما شاء من الجواري.

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقد انعكست هذه الصورة المشوهة على طبيعة الإعلام الغربي المملوء بالتهجم والعداء، والسبب يعود إلى الخلفية الأيديولوجية العلمانية والنزعة المادية للغرب الذي يتعامل مع المرأة على أنها مادة أو وسيلة متعة.[3]

---

[1]- سورة الأحزاب الآية 59.

[2]- المرأة بين طغيان النظام الغربي: ص 161.

[3]- صورة الإسلام في الإعلام الغربي: الدكتور محمد بشاري ص 46 – 48.

وتجدر الإشارة إلى أن تعدد الزوجات لم يكن من محدثات الإسلام، بل وجده قائما بين الناس بلا قيد ولا شرط، فلم يشأ أن يمنعه منعا باتا، فيكون الحرج والعنت والتضييق الفجائي، بل عمد إلى تنظيمه تنظيما محكما يتلاءم مع مصالح الناس ومقاصد الشريعة الإسلامية.

وتعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة وهدفه أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا، وأحق باحترام الرجل من المرأة الغربية.[1]

ولم يترك الإسلام هذا التعدد على حاله من الفوضى والهمجية، بل توسط في الأمر فأباحه إلى أربعة فقط، بشرط القدرة على إعالة أكثر من زوجة، والعدل في النفقة والقسمة، فإن خاف الزوج عدم القدرة على العدل، يكتفي بزوجة واحدة.[2]

وهو ما أوضحته الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[3]، كما أكدته السنة النبوية الشريفة في قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه الأيمن مائل".[4]

فكان التعدد في الإسلام خيرا وصلاحا للمجتمع، وحفاظا على كرامة المرأة، وتحقيقا للعفة والاستقامة، وحفظا للأنساب من الاختلاط، هذا بالإضافة إلى حماية النساء من العنوسة والإباحية والرذيلة، ومن الأمراض الجنسية الخطيرة.

ثم إن التشريع الإسلامي أخبر بأن العدل بين الزوجات يصعب على الرجل، إذ قال عز وجل: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾[5]، فتكون

1- المرأة العربية في ظل الإسلام: عبد الله عفيفي ص: 60.

2- مشكلات في طريق المرأة المسلمة: إبراهيم محمد الجمل: ص 15.

3- سورة النساء، الآية 3.

4- رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب القسم بين النساء، والإمام النسائي في كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض.

5- سورة النساء الآية 128.

النتيجة الترغيب في إغلاق باب التعدد، إلا أنه قد توجد ظروف لا يسع أي عاقل إلا أن يبيح تعدد الزوجات سيرا مع يسر الإسلام وواقعيته.[1]

وقد بين الرسول الكر يم صلى الله عليه وسلم العدل المطلوب في حالة التعدد، وهو العدل النسبي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك".[2]

فالإسلام حينما أباح التعدد جعله في غاية الدقة واللطف مع الحكمة، فاستبان أقرب أنواع العلاج، فلم يحكم بالتعدد حكما قاطعا، ولم يأمر به أمرا باتا.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن نظرية التوحيد في الزوجة التي أخذ بها الغرب، تنطوي تحتها سلبيات وأخطار جسيمة وأمراض اجتماعية التي لم تسلم منها البلدان الإسلامية التي احتكت بالمدنية الغربية.[3]

إن تعدد الزوجات في الإسلام يحفظ المرأة ويحميها، وهو أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بتعدد الخليلات، وإباحة الشذوذ الجنسي الذي يعتبره الغرب حقا من حقوق الإنسان الطبيعية، بالإضافة إلى العلاقات الزوجية الشاذة التي تسمح بعقد قران بين اللواطيين والسحاقيات.

وقد عرف الغربيون أنفسهم وجه الحاجة بل الضرورة إلى التعدد، حيث طالبت به كثير من النساء الغربيات رحمة بالنساء الفقيرات وبالبغايا المضطرات، وصرح بذلك بعض علماء أوروبا منهم: الدكتور غوستاف لويون الفرنسي في كتابه "حضارة العرب"، إذ أثبت عدالة حكم الإسلام بالتعدد واقتضاء الضرورة الاجتماعية له.[4]

---

[1]- مشكلات في طريق المرأة المسلمة: ص 15-16.

[2]- رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب النكاح باب في القسم بين النساء رقم 2134.

[3]- المرأة بين الفقه والقانون: الدكتور مصطفى السباعي: ص 224 – 225.

[4]- حقوق النساء في الإسلام: محمد رشيد رضا ص 66 و 68.

ثالثا: الإرث

إن الصورة التي وضعها الغربيون للمرأة المسلمة لا تخلو من اتهام الإسلام بهضم حقوقها، ومن أبرز الانتقادات التي تتكرر عند الحديث عن موضوع المساواة بين الرجل والمرأة، الوقوف عند قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[1]؛ إذ اعتبروا هذه الآية الكريمة وثيقة إدانة للإسلام، الذي فرق بين الرجل والمرأة، في أبرز ما ينبغي أن تناله من حقوق ألا وهو حق الإرث.

إن الذين هاجموا الإسلام من خلال هذه الآية الكريمة يفهمونها على أنها قانونا عاما في أحكام الميراث في سائر الأحوال والقضايا، في حين أن الآية وردت في ميراث الأولاد دون غيرهم، وللورثة الآخرين ذكورا وإناثا أحكامهم الخاصة بهم، ونصيب الذكور والإناث واحد في أكثر هذه الأحكام.

ولما جعل الشرع حصة الذكر في الإرث معادلة لضعف حصة الأنثى، فإنه راعى وضع الوارث ومدى حاجته، ونوع العلاقة بينه وبين مورثه، ذكرا كان أم أنثى، وراعى أيضا البناء الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع، إذ المرأة مبدئيا، ليس عليها تبعات مادية كالرجل، فوليها مأمور شرعا بالإنفاق عليها، وتستحق المهر عند زواجها، ولها النفقة من زوجها مهما بلغ ثراؤها، ثم هي ترث أهلها أو زوجها، وقد تشتغل وتكسب مالا خالصا لها لا ينازعها أحد فيه، أما الرجل فيقع عليه واجب الإنفاق بسبب الزوجية، أو الأبوة، وهذا لا تلزم به المرأة.[2]

فلماذا يعيب الغربيون ما شرعه الإسلام تكريما للمرأة وتحريرا لها وحماية لحقوقها وأنوثتها؟ ثم يغفلوا شقاء المرأة في المجتمع الغربي ومعاناتها تحت سلطان الأنظمة المادية التي استعبدت المرأة من خلالها[3]، أما نظام الإرث الإسلامي فهو أكثر منطقية، وأحرص على مصلحة المرأة والأسرة والمجتمع.

---

[1]- سورة النساء من الآية 11.

[2]- أحكام المرأة بين الاجتهاد والتقليد: الدكتورة شيماء الصراف ص: 164.

[3]- المرأة بين طغيان النظام الغربي...: ص 112 – 113.

رابعا: الطلاق

يعتبر خصوم الإسلام من الغربيين ومقلديهم الطلاق من مساوئ الشريعة الإسلامية، لجعل قراره بيد الزوج، وهذا ما يناقض حق المساواة بين الرجل والمرأة، بل يعتبرونه دليلا على استهانة الإسلام بقدر المرأة وبقدسية الزواج.

وما يجهله هؤلاء هو أن الإسلام لم يكن أول من شرع الطلاق، فقد جاءت به الشريعة اليهودية، وعرفه العالم قديما.[1]

والطلاق في الإسلام ينقسم إلى قسمين اثنين: طلاق يتم من خلال إرادتي الزوجين ولا إشكال فيه، وطلاق يتم بإرادة واحدة، وهو الذي يقتضي إقامة ميزان العدل بين الطرفين.[2]

وإذا جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل، فلأنه أحرص على بقاء الزوجية التي أنفق في سبيلها من المال ما يحتاج إلى إنفاق مثله أو أكثر منه، إذا طلق وأراد عقد زواج آخر، والرجل بمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة التي تكون عادة أسرع منه غضبا وأقل احتمالا، وليس عليها من تبعات الطلاق ونفقاته مثل ما عليه، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لأدنى الأسباب.[3]

هذا وإن نظام الإسلام في الطلاق يراعي ضرورات الحياة وواقع الناس في كل زمان، كما أنصف المرأة من فوضى الطلاق التي كانت سائدة في الجاهلية، حيث لا عدد ولا حقوق ولا التزامات، وقد جعل للمرأة منافذ تنفذ منها عند استحالة بقاء العلاقة الزوجية، فأعطاها حق اشتراط أن يكون الطلاق بيدها عند عقد الزواج، ويسر لها الخلاص من زوج لا تطيقه عن طريق الخلع، وفتح لها الطريق إلى القضاء للتفريق بينها وبين زوجها لاستحالة بقاء الزوجية مع الشقاق والنزاع، وضمنت لها حقوقها حتى في حالة الطلاق التعسفي من طرف الزوج.[4]

وإذا نظرنا إلى الاتجاه المعاكس، وجدنا أن نسبة الطلاق في الغرب متزايدة، بسبب جعله حقا للرجال والنساء على السواء، ولا يترتب عنه أي حقوق أو واجبات، فهل هذا النظام هو الأمثل؟

---

[1] - المرأة بين الفقه والقانون: ص 147.

[2] - المرأة بين طغيان النظام الغربي: ص 137.

[3] - حقوق النساء في الإسلام: ص 132.

[4] - المرأة بين الفقه والقانون: ص 147.

وهل هو السبيل الذي يحفظ للمرأة حقها؟ إن المرأة الغربية تعيش أتعس فترات حياها المعنوية، رغم الإمكانيات المادية المحاطة بها، لا سيما وأن ظاهرة العنف ضد النساء غدت الجريمة الأسرية الأولى في الغرب؛ إذ الرجل حين يمل من زوجته أو عشيقته يلقي بها في الشارع، مما أدى إلى تكاثر الملاجئ لإيواء النساء المطرودات من بيوتهن أو الهاربات من العنف والظلم، لأن زواجهن لم يكن له أي ضمانة ولا حق، فخسرن الزوج والمال والأسرة. أما الشريعة الإسلامية فقد نظمت الطريق الأمثل لإنهاء الزوجية عندما لا يكون عن ذلك مناص، بحيث لا يقع أحد الزوجين ضحية ظلم من الآخر.

خامسا: الشهادة

وهي قضية مهمة تستحق الوقوف والتدبر، وتتعلق بشهادة المرأة المسلمة التي يعتبرها الغربيون دليلا آخر على الدونية التي تعاني منها المرأة في العالم الإسلامي، وأساس ذلك عندهم قول الله تعالى:﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾.[1]

ومن البديهي أن هذا التفاوت لا علاقة له بالإنسانية ولا بالكرامة ولا بالأهلية، والشروط التي تراعى في الشهادة ليست عائدة إلى وصف الذكورة أو الأنوثة في الشاهد، إنما جعل الله تعالى شهادة امرأتين تقوم مقام شهادة الرجل الواحد في الحقوق المالية، لاذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت، فيما يتصور فيه النسيان وعدم الضبط في العادة[2]. وهو ما بينه الحق جل جلاه بقوله: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾.[3]

أما غيرها من الشهادات التي لا يتطرق إليها النسيان عادة، فتقبل فيها شهادة المرأة وحدها لأنها بمنزلة الرجل الواحد في هذا الشأن، مثل الولادة، والاستهلال، والرضاع، والحيض، وعيوب النساء، وهذا حين كان لا يتولى توليد النساء ومعالجتهن إلا النساء.[4]

وانطلاقا من هذه القاعدة، فإن الشارع يرفض شهادة المرأة في الجنايات لندرة معاينتها لها، وإذا حضرت فقد لا تستطيع البقاء أو تفقد الوعي من شدة تأثرها، فلا تتمكن من أداء الشهادة

---

[1]- سورة البقرة من الآية 281.

[2]- وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، الدكتور محمد بن معجوز: ص 229-230.

[3]- سورة البقرة من الآية 281.

[4]- وسائل الإثبات: ص 230.

ووصف الجريمة، ومن المسلم به أن الحدود تدرأ بالشبهات، وشهادتها في القتل فيه شبهة عدم إمكان تثبتها من وصف الجريمة.[1]

إلا أن بعض الفقهاء من المالكية يجيزون شهادة النساء إذا وقع جرح أو قتل في أماكن اجتماعهن المباحة، هذا إذا كانت في الشاهدات اثنتان متصفتان بالعدالة وإلا لا بد من القسامة واليمين. وهذا يوافق روح الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى العدل والإنصاف، خصوصا وأن المرأة تزاول مهمتها ونشاطها في شتى الميادين، وإلا ضاع دمها وأهدر.[2]

وعليه فإن الادعاء بأن الإسلام ظلم المرأة بجعل شهادتها لا تساوي شهادة الرجل هو جزء من جملة الأحكام المغلوطة التي صدرت في حق الإسلام، وتنصب في مصلحة الغربيين في تشويه صورة المسلمين.

---

[1]- المرأة بين الفقه والقانون: ص 32.

[2]- وسائل الإثبات: ص 227.

خاتمـــة:

لا يمكن لأي عاقل أن ينكر تكريم الإسلام للمرأة وتعظيم شأنها، بل هو الذي رفع مقام الأنوثة بالمعنى الصحيح، ومنحها كل الحقوق، ووضع الرجل في موضعه الخاص به، وجعل المرأة في مكانها اللائق بها، ولا فضل في الذكورة، ولا ذل في الأنوثة، وكل منهما متلازمتين ومتكاملتين، والتكامل بين شقين لا ينبغي أن يؤدي حتما إلى التماثل المطلق بينهما في كل شيء، ومن العبث المفاخرة بين شقي النفس الواحدة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**النساء شقائق الرجال**"[2]، وكل من الرجل والمرأة يشارك في بناء المجتمع وتنميته، يقول الله عز وجل: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[3]، والقوامة التي يتميز بها الرجل عن المرأة هي قوامة تكليف لا تشريف، إذ قال الله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾.[4]

وقد ميز الله تعالى المرأة عن الرجل في مواقف واختصاصات أخرى، حيث قال عز وجل: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾[5]، ولذلك أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالأم أكثر من الأب، وكثير من الآيات القرآنية تستنكر المفاهيم التي تعتبر المرأة دون الرجل، كما خص القرآن سورة كاملة لأحكام المرأة وهي سورة النساء، وسورة مريم مكرسة لها بالكامل، بالإضافة إلى آيات قرآنية تتعلق بقضايا النساء باعتبارهن من أعضاء المجتمع، فكل نصوص الكتاب والسنة تأبى إلا أن تخص المرأة بالمزية والتشريف.

وعليه يجب التعريف بالمرأة المسلمة وفهم قضاياها بطريقة عادلة ومتوازنة، وتصحيح الصور السيئة والمشوهة التي يستخدمها الغربيون وأتباعهم للهجوم على الإسلام والمسلمين.

---

[1]- سورة النساء الآية 1.

[2]- رواه الإمام أبو داود في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلل في منامه.

[3]- سورة النساء الآية 32.

[4]- سورة النساء الآية 34.

[5]- سورة لقمان، الآية 13.

فكل ما نسمع به اليوم من شعارات ومؤتمرات متعلقة بحقوق المرأة، هو دوي لتصدي الإسلام، ولا يمكن الاعتقاد أن السلوك الغربي هو النموذج الفريد الذي يجب اتباعه وتقليده، بل ما جاء به الإسلام هو النموذج اللائق، ولا تصلح المرأة الغربية للمجتمع العالمي مثالا تحتذيه المرأة المسلمة؛ لأنها مخالفة للمسلمة في آدابها وتقاليدها، فالمرأة الغربية جردت من أنوثتها وعزها وانغمست في مظاهر الإباحية، ولم تعد هي نفسها راضية عن حالها، وشتان بين هذه وتلك.

لكن تغير هذه الصورة وتصحيحها لن يكون سهلا، لأن التهجم على الإسلام مرتبط بخلفيات متعددة الجوانب، وللدفاع عن صورة الإسلام والمسلمين، لابد من مبادرات جادة تنبني على المعرفة الحقيقية للإسلام، وتعلو على النزعات العاطفية، مع الثبات على المبادئ والقيم الإسلامية، فلا يمكننا أن نتخلى عن أحكام المرأة أو نغيرها استجابة للمصالح المادية الغربية التي تطالب بالحرية الكاملة للمرأة بعيدا عن الدين، الذي هو دين الله عز وجل، ولا يستطيع أحد تغييره من أجل موافقة الأهواء المادية المغرضة والمتقلبة.

مراجع البحث

●أحكام المرأة بين الاجتهاد والتقليد، الدكتورة شيماء الصراف دار القلم باريس ط 1 – 2001 م.

●تحرير المرأة المسلمة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة دار القلم ط 1 – 1410 هـ – 1990 م.

●التربية الخاطئة للغرب: كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، جو كليشلو وشيرلي شيتا ينبرغ، ترجمة حسان بستاني دار الساقي 2005 م.

●الجامعة الإسلامية عدد 25 سنة 1419 هـ – 1992 م. رابطة الجامعات الإسلامية الأمانة العامة الرباط المغرب.

●حقوق النساء في الإسلام: محمد رشيد رضا دار الهجرة ط 3 1408 هـ – 1987 م.

●صورة الإسلام في الإعلام الغربي: الدكتور محمد بشاري دار الفكر ط 1، 1425 هـ – 2004 م.

●مشكلات في طريق المرأة المسلمة: إبراهيم محمد الجمل دار البشير القاهرة سنة 1984 م.

●المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني: الدكتور رمضان البوطي دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر دمشق 1996 م.

●المرأة بين الفقه والقانون: الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي ط 6، 1404 هـ – 1984 م.

●المرأة العربية في ظلال الإسلام: عبد الله عفيفي دار الكتاب العربي بدون تاريخ.

●وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي: الدكتور محمد بن معجوز دار الحديث الحسنية ط 1، 1404 هـ – 1984م.

دور الصحافة المكتوبة
في تصحيح صورة الإسلام في الغرب

للدكتور حسن عزوزي
أستاذ بكلية الشريعة بفاس

تمهيد:

تقوم منابر التثقيف والتوجيه والإعلام في أي مجتمع بوظيفة أساسية هي صنع وتكوين الصور الذهنية لأفراد المجتمع والترويج لها وترسيخها في العقل الجماعي، والمقصود بالصور الذهنية تلك التصورات العقلية الشائعة بين أفراد جماعة معينة والتي تحدد اتجاه هذه الجماعة نحو شخص أو شعب أو فكرة أو غير ذلك، وهذه الصور الذهنية قد تتحول إلى صور نمطية **(stéréotypes)** عندما تتكرر على نحو ثابت وجامد، وتتسم بالتبسيط المفرط والتعميم الواسع، وتبرز وسائل الإعلام بوصفها أهم وأخطر المؤسسات الاجتماعية التي تسهم بدور فاعل ومؤثر في صياغة الصور الذهنية والنمطية في العقل الجماعي للمجتمعات الحديثة.

وبالنسبة للإساءة للإسلام وحضارته ومحاولة الترويج للصور النمطية الكريهة والمسيئة وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، فيمكن القول بأن الأمر ليس جديدا في المجتمعات الغربية بل هي ظاهرة قديمة لكنها متجددة، فالغرب المسيحي يستمد صورته الذهنية عن الإسلام من خلال الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب خلال القرون الوسطى وإلى نهاية الحروب الصليبية، بيد أن النظرة إلى الإسلام وقتئذ كانت شعبية مفعمة بالحقد ومشبعة بالخيالات الغريبة والتصورات الموغلة في التهويل والتشويه والتمييع.

ومع تراجع الزحف الصليبي وبروز الخلافة العثمانية بزخمها وقوتها وتوسعها الكاسح ظهر نوع من التخوف من الإسلام والمسلمين دفع من عرفوا بالمستشرقين إلى إنجاز دراسات عن الإسلام والمسلمين بمختلف اللغات شحنت بأفكار وصور نمطية سلبية موغلة في الازدراء والاستخفاف بالإسلام ونبيه وتعاليمه، وقد كانت الأوصاف التي أطلقها المستشرقون كاشفة عن مدى التعصب والحقد الذي كان يهيمن ويسود في البلدان الغربية، وإذا انتقلنا إلى المرحلة الاستعمارية وجدنا أن واقع الاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية كان منبعا لكثير من الصور النمطية الزائفة التي صنعها الغرب عن الشرق، وهي الصور التي عادت فيما بعد لتزكي وتبرر نزعة الاستقلال والاستعلاء في الوعي والشعور الغربي، وفي العقود الأخيرة وابتداء من نصف القرن العشرين اضطرت الحكومات الغربية للجوء إلى متخصصين في شؤون الشرق الأوسط يهتمون بطبيعة الحال بظاهرة الصحوة الإسلامية التي أخذت تتنامى مع عقد الثمانينات، وهؤلاء الخبراء الاستراتيجيون هم في غالب الأحيان إما أساتذة العلوم السياسية والاجتماعية أو خبراء في معاهد الدراسات الاستراتيجية التي يشرف عليها صناع القرار الغربيون. إن معرفة هؤلاء بالإسلام سطحية جدا لكن لهم دراية وخبرة

في اقتناص وتصيد "كليشيهات" معينة عن الإسلام صاغها المستشرقون التقليديون في كتبهم أو تناقلتها وسائل الإعلام الغربية بمختلف مكوناتها، وبذلك يكون الإسلام هدفا مستساغا من أجل تكوين وعي محدد عنه يتلاءم ومصالح الغرب ومطامحه، وبذلك يسهل تحقيق عملية "كيفية الصنع والتصوير" وتحديد طبيعة المعرفة الواجب تشكيلها عن العالم الإسلامي، وهي معرفة بالغة السلبية وموغلة في نهج أسلوب التخويف والترويع والحذر.

دور القولبة الإعلامية المعاصرة.

إذا انتقلنا إلى وسائل الإعلام الغربية المعاصرة وجدناها أخطر المؤسسات التي تسهم في تشكيل وتكوين صور نمطية عن الإسلام، وإذا كانت هي ذاتها ترتكز على ما تفرزه جهات ومصادر أخرى مما سبق ذكره فإنها تعيد صياغة وحبك تلك الصور الذهنية بما يجعلها أكثر إثارة وجاذبية، فهي بما تمتلكه من إمكانات جبارة وقدرة هائلة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير تعمل على جعل المادة الإعلامية التي تصنع بها الصور النمطية المسيئة مادة جماهيرية يتلقفها المشاهدون أو القراء فيتأثرون بها وترسخ في أذهانهم بشكل طبيعي وتلقائي.

وتعتبر القولبة الإعلامية **stéréotypie** أبرز وسيلة ينهجها الإعلام الغربي من أجل توصيف الإسلام في إطار قوالب نمطية موغلة في الازدراء والتشويه، ويعبر مفهوم القولبة الإعلامية عن تحديد مسبق لفكرة أو مجموعة من الأفكار تغذيها خلفيات معرفية محددة وتهدف بشكل تبسيطي وتعميمي إلى وصف الآخر انطلاقا من انتماءاته الدينية أو العرقية أو غير ذلك.

والقولبة الإعلامية التي يحلو للإعلاميين الغربيين اللجوء إليها عندما يراد الحكم على الإسلام وتوصيفه تستند إلى جهاز كامل من الأحكام المسبقة **préjugés** والتي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية مما يجعل تصور العالم الإسلامي بكل مكوناته ومقوماته إنما يتم من خلال خلفيات فكرية سابقة تهدف بالأساس إلى الدفاع عن مصالح وأهداف معينة . وعملية القولبة الإعلامية كما يمارسها الغرب في حق الإسلام يبتغي من ورائها إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بالإسلام وذلك من أجل الحيلولة دون إقبال الغربيين على الإسلام أو حتى التعرف عليه، فالصورة النمطية المشوهة التي ترسخها عملية القولبة الإعلامية الغربية في ذهن الإنسان الغربي تهدف إلى التخويف من هذا الدين والترويع من كل ما يمت بصلة إلى المسلمين الذين يوصفون أحيانا بأقذر الأوصاف وأقبحها.

ولا يخفى في هذا السياق أن القولبة الإعلامية الغربية قد عملت خلال العقدين الأخيرين على تكوين عملية دعائية استهدفت تعريب وأسلمة "الإرهاب"، وبذلك أصبح العالم العربي

والإسلامي الضحية النموذجية لما يطلق عليه بلغة الإعلام " شيطنة العدو" أي تحويل العرب والمسلمين من دون استثناء إلى شر مستطير وإلى مصدر رعب وتخويف. وتسعى وسائل الإعلام الغربية إلى تكريس ذلك وتأكيده من خلال تقديم إحصائيات مهولة أو رسوم كاريكاتورية مثيرة أو تحقيقات ميدانية في بلدان العالم الإسلامي تبعث على تصوير المسلمين متخلفين ومتطرفين وناقمين على الغرب إلى غير ذلك.

ظاهرة الإسلاموفوبيا وأسباب تفاقمها

لقد أصبحت لفظة "إسلاموفوبيا" مصطلحا جامعا ودالا على عمليات التشويه والتمييع لصورة الإسلام انطلاقا من مرض الخوف منه. إنه المصطلح الأكثر تعبيرا على عقدة الخوف والهلع من انتشار الإسلام ونفوذ قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات والدول الغربية. وترد كلمة "الفوبيا"**Phobia** في القواميس النفسية بمعنى الخوف المرضي والرهبة[1] والرّهاب، إنها تدل تحديدا على القلق العصبي أو العصاب النفسي الذي لا يخضع للعقل ويساور المرء بصورة جامحة من حيث كونه رهبة في النفس شاذة عن المألوف يصعب التحكم فيها.[2] وتدل اللفظة أيضا على خوف لا شعوري من أشياء أو أشخاص أو مواقف ليس له في الشعور ما يبرره أو يفسره.

وفي الاصطلاح العام تدل لفظة " إسلاموفوبيا" على ما تم ترسيبه وتكريسه وإشاعته من قلق مرضي وخوف نفسي لا شعوري لدى الغرب من الإسلام وكل ما يتصل به. وينتعش هذا المصطلح بصورة أكبر عندما يحتد العداء الغربي للإسلام ويظهر من خلال القيام بحملات تشويهية لصورة الإسلام خاصة عبر الإعلام الغربي بكل مكوناته.

من جهة أخرى لم يكن صعبا على الغرب في فترة من الفترات العمل على إشاعة الخوف من الإسلام وإحداث نوع من الاقتناع لدى الإنسان الغربي بأن الإسلام دين مخيف وعدو جديد وخطر محدق بالحضارة الغربية، ومنذ قرون من الزمن تمكن الغربيون من كنسيين ورهبان ومستشرقين واستعماريين من إيجاد صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين تجرد الإسلام من كامل خصائصه

1- جاء في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة القصص 32 :" واضمم إليك جناحك من الرهب أي من الخوف.)

2- د أسعد رزوق: موسوعة علم النفس، طبعة بيروت 1979، مادة فوبيا

وملامح حضارته الإنسانية وذلك ضمن ملامح جديدة محددة وثابتة تعبر عن صور ذهنية عن الإسلام والمسلمين ترسخ في العقل الغربي.

إن الإسلاموفوبيا تعني إجمالا توليد وإشاعة الخوف من الإسلام وأهله في العالم أجمع وذلك عن طريق شن حملات مشحونة بالدسائس والأكاذيب الموجهة إلى الإسلام وحضارته، وإن مصطلح (الإسلاموفوبيا) وإن كان من نتائج حملات التشويه الضارية فإنه في الوقت نفسه من أبرزها وأكثرها شهرة وشمولا، وهو مصطلح جامع لعمليات التشويه ونتائجها وصارت الكلمة هي الأكثر دلالة على ذلك.

وقد عبر أحد الصحفيين السويديين عن ذلك عندما قال:" لو أن مائة ألف عربي قتلوا لما انتابني أي شعور غير عادي، أما بالنسبة لقوات الحلفاء الغربيين فالأمر مختلف لأني أشعر بالتعاطف معهم ومع أسرهم، إن العرب يبعثون الخوف في نفسي على أية حال".

وقد عبر "اريك هرستاديوس" **Eric horstadins** عن هذا الشعور كتابة في مجلة سليتز**Slitz** السويدية بعيد انتهاء حرب الخليج عام **1991** بوقت قصير، وباستثناء صوتين اعترضا عليه، مر هذا الموقف برغم كل ما ينطوي عليه من عنصرية واضحة دون أي سجال يذكر أو حتى اكتراث، ويرجع ذلك إلى سبب في غاية البساطة هو أن هذا الموقف ليس شاذا عن آراء ومشاعر الغالبية الساحقة من السويديين.[1]

ويمكن إجمال أسباب تفاقم واستمرار ظاهرة الإسلاموفوبيا ما يلي:

أولا: قدرة الإسلام على الانتشار والامتداد، فالغربيون يعترفون مع شيء من الحيرة والدهشة بأنه فعلا هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي والانتشار بسرعة مذهلة، كما رأوا فيه دينا يحمل في جوهره روحا وثابة وقدرة خارقة على الامتداد جغرافيا في شتى بقاع العالم، وهذا ما أثبته بعض الخبراء الاستراتيجيين الغربيين أنفسهم عندما اعترفوا بأن الإسلام هو أكثر الأديان نموا وأقواها تأثيرا في النفوس وأوفرها أتباعا جددا ، يقول جون اسبوزيتو وهو يتحدث عن جذور الصراع بين الإسلام والغرب: "ان النجاح والتوسع الكبيرين للإسلام كانا بمثابة التحدي للغرب على المستوى الديني والسياسي والثقافي، وشكل تهديدا للغرب المسيحي، وكل من

[1]- انجمار كارلسون: الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير بوتاني، مكتبة الشروق – القاهرة، ط **2003/1** ص**13**.

الإسلام والمسيحية لديه شعور برسالة ومهمة عالمية ولذلك كان محتما أن يؤدي ذلك إلى المواجهة بدلا من التعاون"[1] ويبدو أن التواجد الإسلامي المكثف بالدول الغربية دفع إلى الاعتقاد بأن ذلك يشكل تهديدا محتملا على مستوى التركيب السكاني لمنظومة الغرب (الأورو- أمريكي)

ثانيا: إن إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة وبكل تلقائية وطواعية واقتناع يجعل مواطنيهم من المهتمين والمتتبعين يتخوفون من احتمال تناقص أتباع المسيحية لصالح الإسلام خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الإحصائيات الغربية ذاتها تثبت أن مجموع أعداد المسلمين بأوروبا وأمريكا ينيف عن الخمسة والعشرين مليونا، ستة منها تتحرك داخل أمريكا وتأتي بعدها فرنسا التي يوجد بها ما يناهز الخمسة ملايين.

ثالثا: استمرار العلاقة غير المستقرة بين الإسلام والغرب عبر التاريخ وهي علاقة معقدة سمتها الغالبة حصول التواصل حينا والتنافر حينا آخر، لكن التنافر وحصول الصدامات والصراعات كان أمرا غالبا، ولذلك اعتبر الإسلام دينا غريبا يشكل خطرا على الغرب، ويرجع السبب الرئيس في استمرار هذا العداء إلى أن الغربيين ورثوا ذلك منذ قرون عديدة وبقيت صورة الإسلام في الغرب مشوهة لكن بشكل أقد حدة، يقول المؤرخ الفرنسي الشهير جوستاف لوبون **Gustave le Bon**: "إننا لسنا أحرارا قط في تفكيرنا حول بعض المعلومات، فقد استمر التعصب الذي ورثناه ضد الإسلام ورموزه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءا من تركيبنا العضوي"[2]

رابعا: ان تزايد أعداد العرب والمسلمين وأبنائهم وأحفادهم في البلدان الغربية ودخول نخبة منهم إلى قبة البرلمانات الأوروبية يمكن أن يؤدي في المستقبل المنظور إلى إمكانية بروز دور للجاليات العربية والإسلامية على القرارات السياسية للدول المضيفة، وهي دول تخضع إلى حد كبير إلى تحالفات اللوبيات اليهودية والمسيحية الغربية المتعاطفة معها في إطار التراث اليهودي المسيحي **Juéo-christianisme**، ومن المنطقي أن تحس اللوبيات بالخطر المحدق بنفوذها.

1- جون اسبوزيتو: التهديد الإسلامي، خرافة أم حقيقة ص 318.

2- مالك بن نبي: مستقبل الإسلام ، طبعة بيروت ص 29.

واجب تصحيح وإبراز صورة الإسلام.

لا شك أن من أكبر دواعي استمرار وتمادي الإعلام الغربي في هجمه وتشويهه لصورة الإسلام هو سكوتنا ولزومنا للصمت حيال مختلف الحملات الإعلامية المغرضة ضد الإسلام، فأمست بذلك الآلة الإعلامية الغربية لا تجد غضاضة في نهج مختلف السبل لعرض الإسلام وتحليله وتصويره بشكل يجعله "معروفا" حسب طريقتها للقراء والمشاهدين الغربيين، فتكونت من جراء ذلك صور مشوهة عن ديننا طالت كل مجالاته وتعاليمه ومبادئه وتكرست في أذهان الغربيين وأمست شيئا مألوفا، فأصبحنا نقرأ ونسمع أوصافا فظيعة وتهما مكذوبة وأراجيف مختلقة توجه ضد الإسلام والمسلمين.

ولا ينكر أحد ما تقوم به بعض الجهات الرسمية والمؤسسات الإعلامية والمنظمات الإسلامية وعلى رأسها الإيسيسكو من واجب ممارسة حق الإنكار والاحتجاج من جهة والعمل على تصحيح صورة الإسلام من جهة أخرى، لكن الواجب يفرض القيام برسم خطة محكمة لرصد كل الحملات والانتهاكات الإعلامية التي تمارس ضد الإسلام والمسلمين بهدف البحث عن أسبابها وخلفياتها ثم مواجهتها والتصدي لها.

ولا شك أن واجب إبراز صورة الإسلام يستدعي الإحساس المتزايد بضرورة مساءلة النفس ومراجعة الذات للنظر في مستوى مسؤوليتنا نحن المسلمين بخصوص طبيعة صورة الإسلام في الغرب فالأمة الإسلامية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بممارسة ضرب من ضروب النقد الذاتي البناء لمواجهة التحديات والضغوط التي تتعرض لها دون انكفاء أو التواء أو تقهقر[1].

والمقصود من هذا هو أن تصبح معركة تصحيح صورة الإسلام وإبرازها ومواجهة المتغيرات الدولية بصفة عامة معركة ذاتية بالدرجة الأولى تخص العالم الإسلامي بدل أن نلقي اللوم دوما على الآخرين وذلك انطلاقا من المبدأ القرآني الذي ينص على أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إن مما لا شك فيه أن اللبنة الأساسية لتغيير صورة الإسلام والمسلمين في الغرب على نحو إيجابي تكمن في تصحيح صورة الأمة الإسلامية وذلك بترشيد أحوالها وتحسين ظروفها وتغيير أوضاعها وفقا للمنهج السليم والأسلوب القويم حيث إن المسألة تتعلق أولا بتصحيح صورة

---

[1]-- الإيسيسكو: رؤية الإيسيسكو إلى المتغيرات الدولية ،نص مرقون ص 4.

الإسلام في العالم الإسلامي قبل التفكير في إبراز هذه الصورة في المجتمعات غير الإسلامية وذلك أن صورة الإسلام في الخارج قد تظل غير واضحة القسمات ومكتملة الملامح ما لم يقم المسلمون بتصحيح صورهم في الداخل بما يتناسب ومتطلبات العصر ومستجداته وفقا لتعاليم الإسلام السمحة وقيمه الكريمة والعمليتان التصحيحيتان ينبغي أن تسير بشكل متواز ومتناغم.

من هنا تبدو مسؤولية الصحافة المكتوبة كوسيلة مهمة من وسائل الإعلام في العمل في هذا الاتجاه متضاعفة في هذه المرحلة الدقيقة التي يمر بها العالم الإسلامي الذي يعاني من شدة تشويه صورته وتصاعد موجات الكراهية والعداء للإسلام وتحريف مبادئه وحقائقه.

عوامل نجاح الصحافة المكتوبة في تصحيح صورة الإسلام.

لكي يكون للصحافة المكتوبة دور رئيس في إبراز صورة الإسلام وتحسينها يتعين البحث عن سبل تحقيقها للتأثير المطلوب والفاعلية المنشودة، فالإنسان يحتاج إلى زمن طويل لكي يغير نمط تفكيره وهذا التحول لا يتحقق إلا من خلال تعرضه لمصادر معلومات غير التي نشأ وهو يستقي منها أفكاره، وهذا ما ينبغي أن تحققه الصحافة المكتوبة كمصدر معلومات جديد بالنسبة للقراء للغربيين الذين قد تتغير مواقفهم من الإسلام والمسلمين بفعل تأثير الصحافة المكتوبة الهادفة إلى تصحيح صورة الإسلام المشوهة وبناء صورة بديلة. والصحافة المكتوبة إذا صح أداؤها وحسن توجهها وانبنى عملها على رؤية إستراتيجية واضحة تبصر بالأهداف وتحددها بحسب الأولويات وتضع البرامج والمناهج الموصلة إليها فإنها كفيلة بان تحقق في مجال التعريف بالإسلام وإبراز صورته الانتشار والفاعلية وتحقق التأثير المستهدف.

إن الصحافة المكتوبة مسؤولة إلى حد كبير عن تشكيل رأي عام صحيح تجاه الإسلام محليا ودوليا، وهي فاعلة بقدر واسع في صنع النماذج الثقافية والحضارية. وفي طمس وتبديد وتذويب النماذج المضادة التي تسهم في تشويه الإسلام وحضارته، وتستطيع الاضطلاع بأدق المهام وأخطر الأدوار لما تتمتع به من التنوع والتعدد وسعة الانتشار والقدرة على الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء في أي وقت وفي أي مكان، ولكي يكون للصحافة المكتوبة تأثير واضح، لابد من اعتبار جملة من الشروط والعوامل منها:

1) نفوذ وخبرة مصادر الكتابة الصحفية وهو ما يضفي قدرة تأثيرية على الرسالة ونفوذا لها على القارئ. ويقصد بالخبرة مدى معرفة الكاتب الصحفي بالموضوع الذي يتحدث عنه ويرمي من

خلاله إلى إقناع المتلقي. كما ينبغي تحقيق المزيد من إتقان فن الصحافة المعاصرة واستيعاب تقنياتها ووسائلها الفعالة في التأثير والإقناع والقدرة على تكوين وتوجيه الرأي العام.

2) المصداقية والموضوعية، حيث تزداد قوة تأثير الصحافة المكتوبة كلما كانت المقالات والتحقيقات الموجهة لإبراز صورة الإسلام مبنية على أسس ذات مصداقية متينة وموضوعية عالية، وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الإعلام الغربي في هجمه على الإسلام وسعيه إلى تشويه صورته قد فطن إلى أهمية التمويه باعتماد المصداقية فعمل على الاستعانة بمتحدثين وكتاب صحفيين منتسبين إلى الإسلام لكي يتم إضفاء نوع من المصداقية على حديثها وكتابتها عن الإسلام.

3) اختيار الصحافة المكتوبة الرائدة ذات الإشعاع الإعلامي الواسع وجمهور القراء العريض، إذ لا يخفى أن الوسيلة الإعلامية تتفاوت درجة تأثيرها، فالتلفزيون ليس هو الصحيفة والصحيفة ليست هي الإذاعة وهكذا، ثم إن الصحف والمجلات تختلف قيمتها ومكانتها وقدرتها على الجذب والانتشار الواسع، فالصحافة ذات البعد الدولي ليست هي الصحافة الوطنية المحدودة الانتشار من حيث شهرتها ومدى تأثيرها.

4) إن مضمون الرسالة الإعلامية التي يؤمل من الصحافة المكتوبة أن تحققها ينبغي أن يكون هادفا ومؤثرا، فالهدف هو إبراز صورة الإسلام وتبديد الصورة المشوهة والمسيئة، وهذا يتطلب إتقان تحرير المضمون وحسن صياغته وتوجيهه فضلا عن اختيار وانتقاء الأقلام المشهورة وأصحاب الرأي المشهود لهم بالخبرة والتجربة والريادة في مجال تصحيح صورة الإسلام.

5) العمل من أجل خلق تدفق إعلامي إسلامي مكتوب نحو المجتمعات الأخرى ولاشك أن إلغاء الحدود الجغرافية والسياسية وامتلاك الإعلام المعاصر القدرة على الوصول إلى جميع أنحاء العالم هو في صالح مهمة إبراز صورة الإسلام وتصحيحها.

دور الصحافة المكتوبة باللغة العربية في إبراز صورة الإسلام

إذا كان ينبغي إبراز صورة الإسلام وتصحيحها في داخل العالم العربي والإسلامي قبل التفكير في إبراز هذه الصورة للمجتمعات غير الإسلامية فإن الصحافة المكتوبة باللغة العربية الصادرة في البلدان العربية والإسلامية لها دورها البارز في القيام بهذه المهمة والإسهام في توضيح الصورة الحقيقية والأصيلة للإسلام ومبادئه وحقائقه. إن صورة العالم الإسلامي إنما تنعكس من خلال "تصحيح أوضاع الأمة الإسلامية وترشيد أحوالها وتكييفها وفق المبادئ الإسلامية الحقة التي تقوم على العدل والشورى والمساواة واحترام حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وتقوية التضامن

الإسلامي وتعزيز التعاون والتنسيق بين البلدان الإسلامية وإعلاء شأن العلم وتطوير البحث العلمي والحث على العمل وإتقانه إلى أبعد الحدود، إن ذلك كله يمثل الوسائل الكفيلة بتقويم أوضاع العالم الإسلامي وبتحصين الذات والارتقاء إلى مستوى التعامل مع المتغيرات الدولية.." (1)

إن الصحافة المكتوبة باللغة العربية تحتل في العالم العربي مكانة مرموقة ،فلها قيمتها وجاذبيتها وتتميز بقوة التأثير كما أنها تتمتع بجمهور عريض، لذا فإن توظيف الصحافة المكتوبة باللغة العربية من أجل إبراز المعالم الحقيقية والصحيحة لصورة الإسلام يبدو واجبا مفروضا وضرورة ملحة خاصة مع وفرة الأدوات والوسائل من صحف ومجلات ومنشورات صحافية وتنوع الكوادر والطاقات الإعلامية والثقافية العاملة في حقل الثقافة الإسلامية بمختلف جوانبها.

ومن أبرز المهام التي يمكن للصحافة المكتوبة باللغة العربية أن تضطلع بها ما يلي:

1) العمل على تصحيح الأوضاع المنحرفة في العالم الإسلامي والتي تسهم في تكوين صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين إذ لا يخفى أن صورة الإسلام في شمولها إنما تتجلى في الأمة الإسلامية لأن العالم الخارجي ينظر إلى الإسلام ويحكم عليه من خلال حكمه على واقع العالم الإسلامي. ولاشك أن قيام الصحافة المكتوبة بالتنبيه والاستنكار والتقويم والتصحيح من شأنه أن يسهم في تغيير الأفكار وأنماط السلوك والمعاملات خصوصا في ميادين التربية والتعليم والثقافة وحقوق الإنسان وغيرها.

2) التأكيد على إبراز القيم الإسلامية الأصيلة بالصورة التي تجعل القراء يغيرون من مفاهيمهم وتصوراتهم عن حقائق ومبادئ الإسلام. مع العمل على توضيح قيم الإسلام ومبادئه المتعلقة بالعدالة والتسامح الديني وإقرار الأمن والسلام ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

3) دعم الصحافة العربية الدولية التي تتخذ من العواصم الغربية مقرا لها بما يجعلها تنخرط في عملية إبراز صورة الإسلام وتصحيحها، ولا شك أن هذا النوع من الصحافة يعتبر أقرب إلى مواطن صنع الصور المشوهة عن الإسلام وبالتالي فهي –أي الصحافة الغربية الدولية– أقدر على فهم طبيعة الإعلام الغربي المتهجم والمسيء للإسلام، كما أنها في موقع مناسب لنشر ما من شأنه أن يصحح الصورة ويبرزها بوضوح.

---

[1]ـ د عبد العزيزبن عثمان التويجري: الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام، منشورات الإيسيكو 2003ص 36.

4) تفنيد الشبهات والافتراءات والطعون التي توجه ضد الإسلام والقيام بدراسات وردود تعيد الاعتبار لحقائق الإسلام الصحيحة، وتعتبر هذه المهمة ذات جدوى وأهمية بالغين خاصة في صفوف الطلبة الجامعيين وعموم المثقفين الذين قد ينطلي عليهم ما يروجه الإعلام الغربي من جهة وبعض الجهات الإعلامية الجانحة في العالم الإسلامي من جهة أخرى من شبهات ومغالطات مسيئة للإسلام وحضارته.

5) صناعة الصورة البديلة، إذ لا يكفي أن تقتصر جهود التغيير والتصحيح على تفنيد الشبهات والطعون فحسب، بل لا بد أن يقترن ذلك بتقديم صورة بديلة للإسلام تحل محل الصور المشوهة عنه.

دور الصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية في إبراز صورة الإسلام

لاشك أن التعريف بالإسلام ومبادئه باللغات الأجنبية يعتبر مظهرا من مظاهر الطابع العالمي للإسلام. ويعتبر مبدأ عالمية الرسالة الإسلامية الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الثقافات والأديان الأخرى ، ومن هذا المبدأ تنبع رؤية الإسلام في توجيه الدعوة نحو غير المسلمين الذين يفرض واجب الدعوة تعريفهم بالإسلام الصحيح ومبادئه السمحة من جهة والعمل على تصحيح صورته وتحسينها من جهة أخرى، ويتحمل العلماء والدعاة والمفكرون واجبا كفائيا يحملهم على ضرورة استخدام اللغات الأجنبية كوسيلة لنشر الإسلام والتعريف به ونقل معطياته إلى العالم برمته.ومن المعلوم أن حاجز اللغة كأداة للتواصل والتفاهم يعتبر أبرز الأسباب التي تحول دون تعرف الشعوب الأخرى على حقائق الإسلام وتعاليمه ، كما أن تشويه صورة الإسلام إنما يتم في الغالب الأعم بلغات أجنبية في دول غير إسلامية ، لذلك بات من الضروري تجاوز هذه العقبة من أجل إبراز صورة الإسلام الناصعة عن طريق إصدار صحافة مكتوبة باللغات الأجنبية.

ولما كان لوسائل الإعلام أبرز الدور في عملية تصحيح صورة الإسلام، فإن الصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية والموجهة أساسا للغربيين لها أثرها الكبير في تعديل الصورة وتغييرها، وإذا كانت الصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية والصادرة داخل بلدان العالم الإسلامي لها أهميتها في سياق تصحيح صورة الإسلام في الداخل وترشيد أحوال المسلمين وتعديل أوضاعهم بما يتناسب مع متطلبات العصر ومستجداته، فإن الصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية والصادرة في البلدان الغربية لها أهمية قصوى وأثر بالغ في إبراز صورة الإسلام الحقيقية والصحيحة، فهي تخاطب الغربيين مباشرة وتستحوذ على نسبة عريضة من الجمهور الذي يمكن أن تستهدفه عملية التعريف بالإسلام

الصحيح ومن ثم إبراز الصورة الناصعة والواضحة للإسلام وتبديد كل صور ومظاهر الخوف من الإسلام.

إن مما ريب فيه أن من أنجع وسائل إبراز صورة الإسلام في الغرب عن طريق الصحافة المكتوبة باللغات المختلفة العمل على خلق إعلام إسلامي مكتوب ينطلق من داخل الدوائر الغربية ذاتها ويتوجه إلى جمهور كبير من القراء وهذا الإعلام يرتكز أساسا على تحقيق بعدين متكاملين:

أ- تبديد ظاهرة الخوف من الإسلام وتفنيد الشبهات والمغالطات والآراء الخاطئة عن الإسلام والمسلمين.

ب- تقديم معطيات الإسلام وحقائقه ضمن صورة بديلة عن الصورة المشوهة والمسيئة وذلك وفق أحسن صور الإقناع والتأثير التي يؤمل أن تبدد وتمحو صور التشويه والتضليل الإعلامي الغربي.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال تطوير ما هو متوفر ومتاح والعمل على إيجاد إصدارات أخرى جديدة.

ومن أجل تحقيق مستوى أفضل للصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية يمكن اقتراح ما يلي:

1) إذا كان الإعلام الغربي الموجه يؤثر على صورة الإسلام في الغرب ويعرقل مهمة القائمين والساهرين على الشأن الثقافي الإسلامي في البلدان الغربية، فإنه مما ينبغي توجيه العناية إليه بخصوص تفعيل دور الصحافة المكتوبة في إبراز صورة الإسلام العمل على الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي والتخفيف من حدة الكراهية والازدراء التي تكنها له بعض الجهات والأوساط الإعلامية والثقافية في الغرب، وهو ما يمكن تحقيقه من خلال ما يلي:

أ-الرفع من مستوى الصحافة المكتوبة الموجهة لخدمة قضايا الإسلام والمسلمين وإبراز الصورة الصحيحة والناصعة التي من شأنها أن تحد من تفاقم وتعاظم ظاهرة الإسلاموفوبيا وهو ما يمكن تحقيقه من خلال توفير الوسائل اللازمة لتقديم الإعلام المكتوب بالصورة المناسبة التي تتوافق مع الواقع الغربي.

ب- البحث عن سبل توفير إمكانات النشر والتوزيع الملائمة والكفيلة باستقطاب جمهور أوسع وأكبر.

ج- تنويع وسائل الصحافة المكتوبة: 'صحف، مجلات، منشورات، كتاب الجيب وغيرها والعمل على تعزيز كل ذلك بما يؤهلها لمواكبة التطورات الحاصلة في ميدان الإعلام المكتوب مع الأخذ بالاعتبار تطور وتقدم الصحافة المكتوبة الغربية.

2)الإسهام في تفعيل جسور الحوار والتعاون مع الإعلام الغربي المكتوب والتواصل مع المشرفين والمسؤولين على الصحافة المكتوبة الغربية بمختلف مكوناتها وتزويدهم بالحقائق التي تصلح كمادة إعلامية متوازنة ومنصفة عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وهذا ما يكفل تحقيق ما يلي:

أ- السهر على متابعة طبيعة الكتابة الصحفية الغربية التي تتعرض للحديث عن الإسلام والمسلمين والعمل على توجيهها بالنقد والتصويب والاحتجاج، وهو ما يجعل المسؤولين عن الإعلام الغربي يتعاملون بحذر وحيطة مع الشأن الإسلامي ويحرصون على تفادي أسباب الاستفزاز والازدراء وإثارة المشاعر الدينية.

ب - التعاون مع منابر الصحافة المكتوبة الغربية في إنجاز مقالات أو دراسات أو تحقيقات واستطلاعات تهم الإسلام وقضايا العالم الإسلامي وهي طريقة يلجأ إليها الإعلام الغربي بصفة عامة من خلال اتفاقيات تعاون وتنسيق، وهذا ما يكفل -بشكل طبيعي- الحد من محاولات التشويه المغرضة التي يدأب الإعلام الغربي على تكريسها، ويندرج في هذا الإطار مساهمة المسلمين بالكتابة في الصحف والمجلات الغربية بمختلف الطرق مثل الكتابة في صفحات الرأي والمساهمة في إنجاز التحقيقات والاستطلاعات والمشاركة في زوايا القراء أو صفحات القراء، لما لمثل هذه الإسهامات عبر الصحافة الغربية المكتوبة من أهمية في إبراز الصورة الحقيقة للإسلام وتنوير الرأي العام وتغيير الصورة النمطية المكونة لديه.

3) العمل على تجنيد وتوفير الأطر والكفاءات الإعلامية والثقافية العاملة بالديار الغربية والتي يؤمل أن يكون لها دور فاعل في الإسهام في الصحافة المكتوبة الهادفة إلى إبراز صورة الإسلام والتعريف بقضاياه، ويعتبر المسلمون ذوو الأصول الغربية أفضل الناس تحاورا وتواصلا مع القراء الغربيين في هذا المجال لأنهم أدرى بطبيعة المحاور الغربي وأقدر على الإقناع والإبانة عن حقائق الأمور، وهم عندما يكونون على علم ودراية واسعين بحقائق الإسلام ومبادئه يكون لهم أكبر الأثر في رد ما يثار من مغالطات وما يزعم من شبهات ضد الإسلام والمسلمين.

من جهة أخرى فإن العمل على ربط علاقات تعاون مع الشخصيات والمؤسسات والهيئات والجمعيات الغربية المعتدلة في نظرتها إلى الإسلام كفيل باستقطاب واستكتاب أقلام غربية منصفة لها

أكبر الدور في التأثير والإقناع والتعاطف مع القضايا ذات الصلة بالإسلام والمسلمين، ويدخل في هذا الإطار ربط علاقات تعاون مع صحفيين وإعلاميين غربيين تتسم مقالاتهم واستطلاعاتهم بالحيدة والموضوعية ويشكلون أصواتا منصفة ومعتدلة ترفض بقوة تشويه صورة الإسلام والإساءة إلى المسلمين.

4) العمل على تجفيف منابع ظاهرة التخويف من الإسلام والمسلمين والسعي إلى فضح الحملات الإعلامية المسيئة للإسلام والمسلمين، وهو ما يعود أصلا إما إلى عداء وحقد دفينين أو إلى جهل وسوء فهم بالغين لحقائق الإسلام وتعاليمه ، ويمكن تحقيق ذلك من خلال ما يلي :

أ- رصد كل الحملات التشويهية التي تثار ضد الإسلام والمسلمين عبر وسائل الإعلام الغربية وكذا ما تروجه الكتابات الاستشراقية ثم القيام بالتنبيه والرد عليها.

ب- نهج أسلوب الحوار والتواصل مع الكتاب الصحفيين الغربيين المختصين في الشأن الإسلامي ممن يشكلون ما يعرف بالاستشراق الصحفي، وهم فئات من الصحفيين مزجوا بين العمل الصحفي الإعلامي والبحث الاستشراقي واختصوا في تغطية الأحداث العربية والإسلامية لفائدة قطاع الصحافة الغربية بكل شبكاتها الإعلامية يزودونها – على وجه السرعة والاستعجال– بمقالات وتحقيقات واستطلاعات تتسم بالإثارة التي تستدعي من هؤلاء تشويه الحقائق والغلو في إطلاق الأحكام والاستنتاجات وتحريف الوقائع بشكل يثير الاستغراب.

ولقد أخذ كثير من هؤلاء يعززون مواقعهم الصحفية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية وتغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي بصورة نزاعة إلى التهويل والترويع من كل ما له صلة بالإسلام. إن الذي نود التأكيد عليه هو أن مقالات ودراسات هؤلاء تعتبر الأصل والركيزة لسياسة التخويف من الإسلام، لذلك بات من الضروري التفكير في سبل عقد صلات تعاون وتفاهم بين الصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية والصحافة الغربية التي تحتضن كتابات هؤلاء المستشرقين الصحفيين وذلك بهدف احتواء توجهات حملاتهم الإعلامية المسيئة والعمل على إقناعهم بالتزام الموضوعية والنزاهة والحياد أثناء قيامهم بالتحقيقات الصحفية ذات الصلة بالإسلام والمسلمين، ويمكن للإعلام المكتوب أن يفتح صفحاته لهؤلاء بعد توطيد الصلة بهم وفتح قنوات التواصل والتفاهم معهم، وهو ما يسهم –بدون شك– في تجفيف منابع تشويه صورة الإسلام والتخويف منه.

ج- نهج أسلوب الإنكار والاحتجاج عبر الصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية، والمقصود بذلك ملاحقة ومتابعة كل ما يفرزه الإعلام الغربي بمختلف مكوناته من محاولات التشويه والتمييع تجاه الإسلام والمسلمين، ومن المعلوم أن الاحتجاج يثير الرأي العام ويدفع الجهات الإعلامية التي تقف وراء التحامل ضد الإسلام إلى التحفظ وأخذ الحيطة والحذر[1]، من جهة أخرى ينبغي العناية بتطوير وتكثيف وسائل الضغط التي يمكن للصحافة المكتوبة أن تلعب دورا أساسيا في قيام المسلمين بتوظيفها خدمة لجهود التصحيح وصناعة الصورة البديلة.

من مهام الكاتب الصحفي

إن مسؤولية الكاتب الصحفي الغيور بصفته مؤتمنا على تبليغ الحقائق وإشاعتها والدفاع عنها تبدو في سياق تحقيق مهمة إبراز صورة الإسلام وتصحيحها أعظم وأكثر إلحاحا، ويمكن اقتراح بعض من المهام التي ينبغي أن يضطلع بها فيما يلي:

1- المبادرة إلى إفشال حملات الكراهية و التحريض ضد الإسلام من خلال التصدي لها واستنكارها و فضحها عبر المقالة والقصاصة والخبر مع نهج سبيل الاحتجاج والإنكار.

2- التركيز على مبادرات الحوار الايجابية الهادفة إلى إزالة الغشاوة والتضليل المتراكمين في العقلية الغربية (الحوار الديني- الحوار الثقافي- الحوار الإعلامي)، وهنا تبرز أهمية التنسيق والتعاون وفتح قنوات الاتصال مع مختلف الجهات الإعلامية والثقافية والفكرية الغربية والعمل على إقناع الإعلاميين الغربيين بوقف نشر الأكاذيب والمفتريات عن الإسلام والمسلمين.

3- العمل على رفع مستوى الوعي بظاهرة الإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام) ورفض قوالب التفكير المسبقة والجامدة، وتحديد أساليب مواجهتها وفضح الجهات والمؤسسات الإعلامية التي تقف وراء تشويه صورة الإسلام.

4- العمل على تكوين مجموعات من الكتاب الصحفيين المتخصصين في موضوع إبراز صورة الإسلام وتصحيحها، والمتوفرين على مهارات معينة في مخاطبة الآخر الذي ليست لديه معرفة بالإسلام وحضارته وتحكمه تصورات ومفاهيم خاطئة.

---

[1]- د حسن عزوزي: من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب، كتيب المجلة العربية عدد 63، الرياض 2002 ص16.

إن الكاتب الصحفي الذي يؤمل منه أن يقوم بمهمة التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية وتصحيح صورته مطالب بأن يكون قادرا على إبلاغ الرسالة إلى الجمهور بمهارة ويسر مع القدرة على التأثير فيهم باقتدار من خلال اختيار الطرق والمناهج المناسبة لنقل الأفكار والمعطيات المراد تبليغها وإبرازها دون إغفال متابعة طبيعة الاهتمامات المتغيرة للمخاطبين ومستوياتهم وطرق فهمهم واستيعابهم لمعطيات الإسلام وحضارته، مع القدرة على تكييف مهمة إبراز صورة الإسلام تعريفا بها وتصحيحا لها وفق متطلبات الواقع.

5–من الطبيعي أن يكون الكاتب الصحفي المؤهل للقيام بمهمة إبراز صورة الإسلام متوفرا على مؤهلات ومهارات فعالة يستطيع بفضلها مخاطبة الغربيين، ولا شك أن الكتاب الصحفيين المؤهلين تأهيلا جيدا يعتبرون حجر الزاوية في نجاح جهود الصحافة المكتوبة في إبراز صورة الإسلام ،ومن بين المواصفات والمهارات المطلوبة ما يلي:

أ– أن يعرف الكاتب الصحفي كيف يبلغ رسالة التعريف بالإسلام وتصحيح صورته بما يمنحها أكبر قدر من التأثير، وهو ما يتطلب رسم الطريق بخطة وإحكام واستشراف الغايات والمقاصد مع البحث المتواصل عن أمثل الطرق وأجداها لإقناع المخاطبين.

ب– أن يكون مؤهلا على مستوى المعرفة بواقع صورة الإسلام واستيعاب معطيات وإفرازات الإعلام الغربي ومختلف الجهات المسؤولة عن تشويه صورة الإسلام وما يحفل به هذا الواقع من متغيرات ومستجدات.

ج–الأخذ بعين الاعتبار لنمط تفكير جمهور القراء الغربيين وهو جمهور تتنوع معاييره الفكرية والثقافية والإدراكية.

د– الوعي التام بطبيعة النسيج العقدي والسياسي والايديولوجي التي تصطبغ بها المجتمعات الأخرى التي يتوجه إليها خطاب التعريف بالإسلام وتصحيح صورته.

هـ– العمل على إبراز صورة الإسلام الناصعة وحقائقه وقيمه ومثله السامية بحكمة وحسن بيان ومجادلة بالتي هي أحسن مع التركيز على شرح وإيضاح المبادئ والقضايا الإسلامية التي يجهلها الغربيون بأسلوب الإقناع والتبصير الذي يجعل العالم الخارجي يغير من مفاهيمه وتصوراته عن الإسلام مع الرد على الأفكار والآراء الخاطئة وكشف الأهداف المغرضة التي تسود دوائر معينة في الإعلام الغربي.

المضامين التي ينبغي التركيز عليها:

إن من عوامل نجاح عملية إبراز صورة الإسلام وتصحيحها من خلال الصحافة المكتوبة الاهتمام بالمضامين التي ينبغي أن تحتويها الصحافة المكتوبة الموجهة للغرب، ويمكن اقتراح ما يلي:

* التركيز على الموضوعات المرتبطة بطبيعة محتوى الصورة الذهنية لدى الغربيين، أي ان مضامين الرسالة الصحفية الموجهة للغرب ينبغي أن تشتق من محتوى الصورة الذهنية لدى المجتمعات الغربية وذلك من خلال التعرف المستمر على مكونات الصورة الذهنية لديهم.

* التركيز على المضامين المشتقة مما ينشر في مختلف وسائل الإعلام الغربية للرد عليها بشكل مستمر، وهذا الهدف يتحقق من خلال المزج بين عمليتي التصحيح والتعريف وهو ما يتم عبر المراوحة بين طريقة تفنيد ما يقال عن الإسلام والدفاع عن ثوابته وحقائقه وطريقة البناء وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام.

* الاهتمام بالموضوعات التي تثير اهتمام غير المسلمين ويحدث فيها تشويه متعمد أو غير متعمد، وقد يتردد ذكرها في أوساطهم بشيء من الازدراء والاستخفاف (حقوق الإنسان- الجهاد- الحجاب- أحكام الأسرة...) مع التركيز على القضايا المرتبطة بالحياة اليومية والعادات والتقاليد في المجتمع الإسلامي وقضايا العنف والتطرف والتسامح الإسلامي مع غير المسلمين...

* العمل على تقديم وإبراز القضايا والموضوعات المرتبطة بالإسلام وحضارته في إطار الرؤية العالمية الواسعة المنسجمة مع تطلعات الإنسان واحتياجاته النفسية والفطرية والمتناسبة مع تطور العصر الحاضر بمستجداته ورهاناته وتحدياته.

الاستفادة من رصيد الجاليات الإسلامية في الغرب لإبراز صورة الإسلام.

لا شك أن الجاليات والأقليات الإسلامية في الدول الغربية تتوفر لها فرص كثيرة للعمل على إبراز صورة الإسلام من خلال الصحافة المكتوبة ، بيد أن الأمر يتوقف أساسا على مدى نجاحها من جهة في إقامة علاقات ثقافية وإعلامية غنية ومثمرة مع مختلف شرائح المجتمعات التي تندمج فيها وتتعايش معها وكذا من خلال الوعي بالقيم الإسلامية والعمل بمقتضاها والحرص على تمثل الإسلام دينا وسلوكا ومعاملة.

ولا شك أن العلاقات الثقافية التي تقيمها الأقليات الإسلامية في مختلف المهاجر يمكن استثمارها لدعم عملية تصحيح صورة الإسلام التي تتعرض للتشويه وتبليغ الرسالة الإسلامية إلى

العالم في صورتها الناصعة .ويقتضي هذا الأمر حسن التصرف والفهم الرشيد لمقتضيات العمل الثقافي في قنواته الدولية مع الوعي المتفتح بمتطلبات التحرك في هذه الميادين الحيوية"

ان الحضور الفاعل والمؤثر لأبناء الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب يوفر فرصا كثيرة لخدمة مجال تحسين صورة الإسلام والتعريف بحقائقه وتعاليمه ودحض الشبهات وتصحيح الأخطاء والمغالطات.

ويعتبر استغلال وسائل الإعلام بمختلف مكوناتها أبرز وسيلة لتحقيق ذلك وتأتي الصحافة المكتوبة باللغات المحلية لبلدان المهجر ضمن أبرز الوسائل الإعلامية الكفيلة بإبراز صورة الإسلام ويمكن لهذه الوسيلة أن يكون لها دور قوي في هذا المجال من خلال ما يلي:

1) تفعيل دور المؤسسات والمراكز الثقافية والمنظمات الإسلامية في البلدان الغربية باعتبارها أبرز مكون مؤسساتي للمشهد الثقافي الإسلامي في الغرب، وذلك بالنظر إلى الأدوار الثقافية التي تقوم بها، ويمكن لها إصدار صحف ومجلات ونشرات ثقافية ومطويات تعريفية بالإسلام ومبادئه وقيمه، ولا يخفى أن هناك تجارب رائدة في هذا المضمار حيث إن ثمة صحفا ومجلات عديدة تصدرها اتحادات المنظمات الإسلامية وبعض المؤسسات والهيئات الثقافية العاملة بالبلدان غير الإسلامية.

2) دعوة وتشجيع قادة العمل الثقافي الإسلامي في الغرب (إعلاميون، أساتذة جامعيون، مفكرون وفنانون...)على الإسهام بالكتابة في المنشورات الصحفية بما يخدم مجال التعريف بالإسلام وحقائقه 3) التفكير في توسيع فكرة استئجار صفحات أو أعمدة في الصحافة المكتوبة الغربية والعمل على استغلال هذا المنبر الإعلامي من أجل تقديم مادة إعلامية مفيدة تهتم بإبراز صورة الإسلام الحقيقية، كما يمكن بهذا الصدد البحث عن إمكانية القيام بحملات مدفوعة الأجر للتعريف بالإسلام وحضارته في الصحافة الغربية.

4) الاستفادة من جهود الكفاءات الإسلامية المهاجرة التي أخذت مكانها في منظومة العمل الثقافي والإعلامي في الغرب بطواعية من أجل انخراطها في توظيف الصحافة المكتوبة من أجل إبراز صورة الإسلام، وهذه الكفاءات العلمية تحتاج من العالم الإسلامي ومن أبناء الجاليات والأقليات الإسلامية إلى الرعاية والتشجيع والتعاون لتمكينها من الإقدام على الإسهام بقوة وفاعلية في استغلال الصحافة المكتوبة الصادرة بالبلدان غير الإسلامية للتعريف بالإسلام وتغيير الصورة المسيئة إليه.

وتمتاز هذه الشريحة من أبناء الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب بقدرتها على الحوار والتواصل مع مختلف الدوائر السياسية والثقافية والإعلامية في الغرب، وهو ما يسمح لها بالدفاع عن القضايا الإسلامية والعمل على إبراز صورة الإسلام الصحيحة للغربيين من خلال اقتحام صفحات وأعمدة كبريات الصحف الغربية التي تسعى إلى استقطاب أقلام الكفاءات العلمية ذات الحضور البارز.

5) دعوة الجهات المسؤولة عن الصحافة المكتوبة بالبلدان الإسلامية لربط جسور التعاون مع أبناء الجاليات الإسلامية من كفاءات علمية وقادة العمل الثقافي وغيرهم لاستكتابهم واستقطاب أقلامهم من أجل تقديم وجهات نظرهم في مجال تصحيح صورة الإسلام خاصة في أوقات الأزمات التي يثيرها الإعلام الغربي ويكون الإسلام فيها مستهدفا، وقد أبانت التجربة عن مدى أهمية وقيمة المقالات الصحفية التي يحررها كتاب مسلمون مقيمون في الديار الغربية، إذ هم أقدر على متابعة الأفكار والمصادر المغذية لتشويه صورة الإسلام، كما أنهم الأقدر على اقتراح وإيجاد سبل التصحيح وخطط التعريف بالإسلام في الأوساط الغربية، ويمكن أن يكون لهؤلاء الذين يعتبرون سفراء لبلدانهم الإسلامية في الغرب دور في تفعيل جسور الحوار والتواصل والتفاهم بين العالم الإسلامي والإعلام الغربي المكتوب الذي يسهم بقوة في تشويه صورة الإسلام وتمييعها.

وفي الأخير لابد من الإشارة إلى أن إسهام أبناء الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب في التعريف بالإسلام وإبراز صورته الصحيحة عن طريق الصحافة المكتوبة يتطلب مجهودات جبارة على جميع المستويات وبكافة الوسائل فضلا عن الدعم المادي والمعنوي المطلوبين، لكن ينبغي أن نضع في الاعتبار أن الجهود المبذولة في هذا المضمار كفيلة بأن تحقق نتائج ملموسة ومثمرة قد تكون أجدى من تلك المبذولة داخل العالم الإسلامي.

المراجع:

- البنا (رجب): الغرب والإسلام، طبعة دار المعارف بالقاهرة **1997**.
- بن نبي (مالك): مستقبل الإسلام، طبعة بيروت، بدون تاريخ.
- التويجري (د عبد العزيزبن عثمان): الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام، محاضرة منشورة، الإيسيكو **2003**.
- رزوق (د أسعد): موسوعة علم النفس، طبعة بيروت **1979**
- سبوزيتو (جون): التهديد الإسلامي، خرافة أم حقيقة.
- سعيد (ادوارد): تغطية الإسلام، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت الطبعة الأولى **1983**.
- عزوزي (د حسن): من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب، كتيب المجلة العربية، عدد **63** ، الرياض **2002**.
- كارلسون (انجمار): الإسلام وأوروبا، تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير بوتاني، مكتبة الشروق، القاهرة ط **2003/1**.
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: رؤية الإيسيسكو لسبل التعامل مع المتغيرات الدولية (نص مرقون).

فهرس الموضوعات